## فَصْلٌ في ذكر سُليمَان عَلَيهِ السَّلام
## وَمَا جَرى في أيَّامهِ مِن عجَائب وَقصَّة سَبَأ وبِلقيس مَلكَة مَأرِب[1]

قال علماء السِّير: سليمان اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، وقال وهب: اسم سليمان عند الفُرس جم، وكنيته أبو الربيع.

وقال مقاتل: ذكر الله سليمان في خمسة عشر موضعاً.

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية [ص:٣٨]، قال مقاتل: كان لداود تسعة عشر ولداً لم يكن فيهم مثل سليمان، وكان أعظمَ ملكاً من داود وأفطن منه، وكان داود أشدَّ تعبُّداً، وعامة العلماء على أنه كان نبيّاً، وقال أهل الكتابين: لم يكن نبيّاً [بل مَلِكاً]، والنبوَّة كانت في أبيه داود.

واختلفوا في مبلغ سنِّه بعد وفاة أبيه داود على قولين:

أحدهما: اثنتا عشرة سنة، قاله الضحاك. والثاني: ثلاث عشرة سنة، قاله وهب.

قال: وكان لداود ولد يقال له: شَالوم، كان أكبر ولده، خرج على أبيه وأراد قتله، فصرف الله عنه المُلك إلى سليمان.

وقال ابن عباس: بعثه الله إلى بني إسرائيل وسأل الله أن يؤتيه مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأجاب الله سؤاله، فكانت تعكف عليه الطير وتقوم في خدمته والإنسُ والجنُّ، وسخَّر الله له الرِّيحَ وغير ذلك.

وقال مجاهد: كان أبيض جسيماً يلبس البياض ويشاوره أبوه في قضاياه.

وقال محمد بن كعب القُرظي، وحكاه جدي في «التبصرة» قال: كان عسكره مئة فرسخ، خمسةٌ وعشرون للإنس، ومثلها للجن، ومثلها للطير، ومثلها للوحش قال: وكان له ألف بيت من القوارير، فيها ثلاث مئة امرأة وسبع مئة سُريَّة يحملها الجن على

---

(١) في (ب): الباب الخامس والعشرون في ذكر سليمان عليه السلام، وانظر قصته في «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٥٧، و«تاريخ الطبري» ١/ ٤٨٦ وتفسيره ١٨/ ٢٤ و٢٠/ ٨٠، و«البدء والتأريخ» ٣/ ١٠٣، و«عرائس المجالس» ص ٢٩٤، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٩٣ و٨/ ٢٠٣، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٧ و٥/ ٩١، وتاريخ دمشق ٧/ ٥٦٤ (مخطوط)، و«التبصرة» ١/ ٢٨٧، و«الكامل» ١/ ٢٢٩، و«البداية والنهاية» ٢/ ١٨.

الخشب، ثم ترفعها فتنقلها الريح وتسير بها بين السماء والأرض، وكذا بعسكره، تقلّه على البساط[١].

وروى ابن جبير عن ابن عباس قال: كان يُوضع لسليمان ست مئة كرسي ويجيء أشراف الناس فيجلسون عليها مما يليه، ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الرِّيحَ فتحملهم فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، يركب من تَدْمُر فيَقِيل بإصْطَخْر، ويَروح من إصْطَخْر فيبيتُ بقلعة خُراسان في المباني المعروفة بقلعة سليمان.

وقال الحسن: كان يروح من البيت المقدس فيبيت بكَابُل، والطباخون وأرباب الصنائع يعملون أشغالهم على بساطه ولا تتغير عليهم حال. وكان مسير الرياح شهراً في رَوحته وشهراً في غَدوته كما قال الله تعالى.

وقال وهب: وُجد على حجر مكتوب بالمسند بناحية دجلة: نحن نزلنا في غَدوتنا من فِلسطين إلى إصْطَخْرَ، ومنه نقفل إلى خُراسانَ.

وحكى الثعلبي: أنه كان مكتوباً على الحجر إنما كتبه بعض الإنس أو الجن ثم نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجَدناه، غَدَونا إصْطَخْر فقلناه.

وقال مجاهد: كان سليمان يغدو من دِمشق فيقيل بإصْطَخْرَ، ويروح بإصْطَخْرَ فيقيل بكابُل، وبين إصْطَخْر وكابُل مسيرة شهر. قلت: وهذا وهم، بينهما مسيرة شهرين وثلاثة.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: سار سليمان من الشَّام إلى خُراسان فصلى العصر بمَرْوَ، ومضى نحو المشرق فخاض بلاد الهِند والسِّند والصِّين في ثلاثة أيام، ثم عاد إلى الشَّام على ظهر الرِّيح. قال: ولما عقر الخيل سخَّر الله له الرِّيح.

قال وهب: بلغ سليمان أن في البحر مارداً عاتياً فأرسل الله إليه، فجيء به إلى بابه، فأخذ المارد عوداً قدر ذراع فرمى به إلى بين يدي سليمان، فقال سليمان: تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: يقول: لا تغترَّ بملكك واصنع ما شئت، فإنك تصير إلى مثل

(١) «التبصرة» ١/ ٢٨٨.

هذا من الأرض. قال: وكان الله قد أذن للرِّيح مهما سمعت من كلام الإنس والجن تحمله إليه، وهذا شيء لم يُعطَهُ سواه.

وروى في «التبصرة» عن سيَّار عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: خرج نبيُّ الله سليمان، والجنُّ والإنس عن يمينه ويساره، فأمر الريحَ فحملتهم حتى سمعوا زَجَلَ الملائكة في السماوات بالتقديس، ثم أمرها فخفضتهم حتى مسَّتْ أقدامهم البحر، فسمعوا صوتاً من السماء يقول: لو كان في قلب صاحبكم ـ من الكبر مثقال ذرَّةٍ لخسفتُ به أبعدَ مما رفعته[1].

وقال الحسن: كان يحرسه ست مئة ألف، ويوضع له أربعة آلاف كرسي يجلس عليها الأشراف، وملكَ الأرضَ كما ملكها ذو القرنَين، وهو أحد المؤمنين اللذَين ملكاها، وقد ذكرناه.

وقال في «التبصرة»: كان يطعم كلَّ يوم مئة ألف فإن أقل أطعم ستين ألفاً، وكان يذبح كل يوم مئة ألف شاة وثلاثين ألف بقرة، ويطعم الناس النقي الحُوَّارى، ويأكل هو الشعير، ويطعم أهله الخُشكَار[2].

قال الحسن البصري: كان يحمل القصعة الواحدة ألف رجل ولا يأكل معهم، ويدخل منزله فيأكل الخلَّ والزَّيت بخبز الشعير، فأثنى عليه الله بقوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ١٧] أي: رجَّاع. فإن قيل: مع هذا التقلل والزهد يقول: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[ص: ٣٥]، أكانت المملكة ضيِّقةً حتى يحجر على من بعده؟ والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لما قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى﴾ فلما أجاب الله دعاءه بما وهبه من المُلك استدلَّ به على الغفران، فتيقَّن أن الله قد غفر له.

والثاني: أنه لم يكن في مُلك غيره الريح ولا تسخير الشياطين ولا الطير، فسأل الله ذلك ليكمل حاله، قاله مقاتل.

---

(١) «التبصرة» ١/ ٢٨٨.

(٢) «التبصرة» ١/ ٢٨٨، الحوارى: الدقيق الأبيض، والخُشكار: الخبز الذي لم يُنخَل طحينه.

والثالث: أنه أراد [أن] يعلم أنه مستجابُ الدعوة أم لا، فسأل ذلك كما سأل إبراهيم إحياء الموتى وإن كان موقناً بالإحياء.

والرابع: أنه لما مات داود أوحى الله إلى سليمان سلني حاجتك، فقال: أسألك أن تجعل قلبي يخشاك ويحبك كما كان قلب أبي داود، فقال الله لسليمان: أرسلت إليك أسألك حاجتك فكان هذا جوابك؟ لأعطينَّك مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدك في الدنيا ولا حساب عليك في الآخرة، قاله أبو عبيد القاسم بن سلَّام.

والخامس: أنه خُيِّر بين العلم والملك والمال، فاختار العلم فأعطاه الكل.

قلت: وهذه جوابات إقناعية، وبعضها لا يطابق السؤال، فإنه قد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النمل: ٤٠] إنه آصَفُ، كان يعرف الاسم الأعظم، فقيل له كيف يعرفه آصَف، وهو كاتب سليمان، ولا يعرفه سليمان؟ قال: كان يعرفه، فلما قال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[ص: ٣٥] أنساه الله إياه.

وقال عبد الوهاب ابن النُّوبي في «الأسْولة»: إنَّ النَّملة التي وقف عليها سليمان واسمها منذرة قالت له: ماذا سألت ربك؟ قال: مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فقالت: تفوح من سؤالك رائحة الحسد وما كان يضرُّكَ لو أعطاه الله لغيرك؟ وهل الكل إلا زائل؟

قلت: وقد تكرَّم عليه نبيُّنا ﷺ ولم يزاحمه في هذا المعنى، فقال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عِفْريتاً من الجِنِّ تفلَّتَ عليَّ البَارحَةَ لِيَقْطَعَ صَلاَتي، فَأَمْكَنَني اللهُ منهُ، فأَخَذْتُه وأَردتُ أنْ أَربطه بساريَة من سَوَاري المسجدِ حتَّى تُصْبِحُوا وتَنْظُروا إليه كلُّكُم، فَذَكَرتُ دَعْوةَ أخي سُليمان ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾ فَرَددتُه خَاسئاً»، أخرجاه في «الصحيحين»[(١)].

وقد أخرجه مسلم بمعناه عن أبي الدرداء، وفيه: «لولا دعوةُ أخِينا سُليمان لأصبحَ مُوثقاً تَلعَب به وِلْدَانُ أهلِ المدينةِ»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٩٦٩)، و«البخاري» (٤١٦)، و«مسلم» (٥٤١).

(٢) صحيح «مسلم» (٥٤٢).

قال مقاتل: لما سخَّر الله لسليمان الشياطين وكَّل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه فأحرقه، فذلك قوله: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ [سبأ: ١٢] أي: يميل ويعدل عن طاعته.

## فصل في عمارته بيت المقدس

حدثنا جدي رحمه الله قال: أنبأنا أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري بإسناده عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إنَّ مَكَّةَ بَلَدٌ عَظَّمهُ اللهُ وعَظَّمَ حُرْمَتَه، وحَفَّها بالملائكة قبل أن يَخْلُق شيئاً من الأرض كُلِّها بألف عام، وَوَصَلها بالمدينةِ، ووَصَل المدينةَ ببيتِ المَقْدِس، ثم خَلَق الأرضَ بعدُ بألفِ عامٍ خَلْقاً واحداً».

وقال الوليد بن حماد بإسناده عن أبي عَمْرو الشَّيباني قال: قال عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: كانت الأرض ماءً فبعث الله ريحاً فمسحت الأرض مسحاً، فظهرت على الأرض زبدة، فقسمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة، ومن الثانية المدينة، ومن الثالثة بيت المقدس، ومن الرابعة الكوفة.

ذكر هذا الحديث والأثر جدي رحمه الله في كتاب «فضائل بيت المقدس»، ثم روى عن كَعْب الأحبار أنه قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على أساس قديم كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

ثم قال جدي: وسكن الجبَّارون الأرضَ المقدسة فسلَّطَ الله عَليهم يُوشَع، ثم سلَّط الكفار على البيت المقدس فصيَّروه مزبلة.

ثم روى جدي بإسناده إلى ابن المسيب قال: أمر الله تعالى داود أن يبني بَيْت المقدس فقال: يا رب وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه، قال: فرآه في ذلك المكان، فأسَّس داود قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع انهدم، فقال داود: يا رب أمرتني أن أبني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته، فقال: يا داود إنما جعلتك خليفتي في أرضي، لِمَ أخذته من صاحبه بغير ثمن؟ إنما يبنيه رجل من ولَدِك. فلمَّا قام سليمان: ساوَم صاحب الأرض عليها، فقال له: هي بقنطار، فقال سليمان قد استوجبته، فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ فقال: بل هي خير، قال: فإنه قد بدا لي، قال:

أوَلَيسَ قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيِّعين بالخيار ما لم يفترقا. قال ابن المبارك: فهذا أصل الخيار. قال: فلم يزل يرادُّه حتى استوجبها منه بِسَبعة قناطير، فبناه سليمان حتى فرغ منه، وتَغلَّقت أبوابه فعالجها سليمان أن يفتحها فلم تنفتح، حتى قال في دعائه: بصلواتِ أبي داود إلا انفتحت الأبواب، فتفتحت، ففرَّغ له سليمان عشرةَ آلافٍ من قُرَّاء بني إسرائيل، خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار، لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله عز وجل يُعبد فيه.

قال جَدي رحمه الله عن الوليد عن أبي عمرو الشيباني: أوحى الله إلى داود إنك لن تتم بناء بيت المقدس، فقال: أي يا رب، ولم؟ قال: لأنك غمستَ يدك في الدماء أو الدم. قال: يا ربِّ، ألم يكن ذلك في طاعتك؟ قال: بلى، وإن كان.

وروى جدي أيضاً عن كعب الأحبار قال: لما ولي سليمان أَمَره الله ببناء بيت المقدس، فبناه، فلما دخله خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى، فقال: يا رب، من دخله من خائف فأمِّنه، أو من داع فأجبه، أو مستغفراً فاغفر له. فذبح أربعة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة، وصنع طعاماً ودعا بني إسرائيل إليه. وفي رواية: إن الله أوحى إلى داود: ابنِ لي بيتاً، فبنى لنفسه بيتاً قبل ذلك، ثم بناه فسقط[١].

وروي: أن داود أراد أن يأخذ بيت رجل فيُدْخله فيه، قال سعيد بإسناده عن أُبَي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: أَوحَى الله إلى داودَ: أن ابنِ لي بَيتاً أُذكَرُ فيه، فخَطَّ له مِن هذِه الخطة ـ خطةِ بيت المقدِسِ ـ فإذا تربيعُها يزويه بيتُ رجلٍ من بني إسرائيلَ، فسأَله داودُ أن يبيعَه إيَّاه فأبى، فحدَّث نفسه داودُ أن يأخذَه منه، فأوحَى الله إليه: يا داودُ، أمرتُك أن تَبني لي بَيتاً أُذكَر فيه، فأرَدْتَ أن تُدخل في بيتي الغَصْب، وإنَّ عقوبتَك أن لا تبنِيه. قال: يا رب، يبنيه من وَلَدِي؟ قال: نعم»[٢]. وسنذكر الحديث في ترجمة العباس في سنة اثنتين وثلاثين.

وروى جدي أيضاً عن أبي عبد الملك الجَزَري قال: لما خلا من مُلكِ سليمان مدةً

(١) ما سلف كله في فضائل بيت المقدس المطبوع باسم: فضائل القدس ٧٢ـ٧٦..

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤/ ١٩.

شرع في بناء بيت المقدس، فكان عدد من يعمل في بنائه ألف رجل عليهم قطع الخشب، في كل شهر عشرة آلاف وكان عِدَّةُ الذين يعملون في الحجارة عشرة آلاف، وعدة الذين يقومون عليهم ثلاث مئة أمين، وأولج فيه التابوت وصلى ودعا، فأوحى الله إليه قد غفرت لمن أتى هذا البيت لا يعنيه إلا الصلاة فيه[١].

وروى أيضاً عن عطاء الخُراساني قال: لما فرغ سليمان من بنائه أنبت الله له شجرتين عند باب الرحمة، إحداهما تنبت الذهب والأخرى تنبت الفضة، فكان في كل يوم ينزع من كل واحدة مئتي رطل ذهباً وفضة، ففرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة. فلما جاء بُخْتُ نَصَّر خربه، واحتمل منه ثمانين[٢] عجلة ذهباً وفضة فطرحه برُومِيَةَ.

قال جدي رحمه الله[٣]: بناه سليمان لأربع سنين خَلَت من مُلكه في سبع سنين، ومن هبوط آدم عليه السلام إلى ابتداء سليمان ببناء بيت المقدس أربعة آلاف وأربع مئة وست وسبعون سنة[٤].

وفي غير رواية جدي: ومن خروج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس ست مئة وست وثلاثون سنة.

وروى أيضاً جدي عن وهب بن منبه عن كعب قال: أوحى الله إلى سليمان: أن ابنِ بيتَ المقدس، فجمع حكماءَ الإنس وعفاريت الجن وعظماء الشياطين، ثم فرق الشياطين فجعل منهم فريقاً يبنون، وفريقاً يُقَطِّعون الصخور والعُمُدَ من معادن الرخام، وفريقاً يغوصون في البحر يستخرجون منه الدُّرَّ والمرجان، الدُّرة مثل بيضة النَّعام والدجاجة، وأخذ في بناء المسجد فلم يثبت البناء، وكان عليه حَيْر بناه داود عليه السلام، فأمر بهدمه، ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء، فقال: أسِّسوا عليه، فألقوا فيه الحجارة، فكان الماء يلفظها، فاستشار في ذلك فأشاروا عليه أن يتخذ قِلالاً من

(١) «فضائل القدس» ص ٧٧.

(٢) في (ب): «ثلاثين»، والمثبت موافق لما في «فضائل القدس» ص٧٨.

(٣) في (ب): قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله.

(٤) «فضائل القدس» ص ٧٨.

نحاس ثم يَملأَها حجارة، ثم يكتب عليها ما على خاتمه من [ذِكْرِ] التوحيد، ثم يلقيها في الماء فيكون أساس البناء عليها ففعل فثبت، فبنى المسجد بناء لا يوصف وزيَّنه بالذهب والفضة والدر والياقوت وألوان الجواهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجدره[١].

وروى جدي أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص في تفسير قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد: ١٣] قال: هو سور بيت المقدس الشَّرقي[٢].

هذه صورة ما ذكره جَدي رحمه الله من عِمَارة بيت المَقْدس وبداية أمره.

قلت: وقد روى أبو ذرٍّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بَيْنَه وبَينَ الكَعبةِ أربَعونَ سَنةً»[٣]، وقد ذكرناه، ودَثَر فجدّده الضحاك وعمل فيه العجائب، فلما خرج موسى من مصر وقصد الجبَّارين أخربوه قبل أن ينزل بهم يُوشَع بن نون، ثم شرع في بنائه داود وتَمَّمَهُ سليمان.

وقد رويت هذه الألفاظ مرفوعةً وهي قوله لدَاوُد: إنَّك غمست يدك في الدم وبنيت لك بيتاً قبل أن تبني لي بيتاً.

فقال جدي في «الموضوعات»: أنبأنا أبو منصور بن خَيْرُون، عن الجوهري، عن الدارقطني، عن أبي حاتم البُستي، عن قتيبة، عن محمد بن أيوب بإسناده عن رافع بن عُمير[٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ الله لداود: ابنِ لي بيتاً في الأرض، فبنى داود لنفسه بيتاً قبل البيت الذي أمره الله به، فأوحى الله إليه: يا داود بنيتَ بيتك قبل بيتي، فقال: يا رب هكذا قلت فيما قضيت مَنْ مَلَك استأثر، ثم أخذ في بناء المسجد فسقط، فشكا إلى الله تعالى فقال الله: لن تصلح أن تبني لي بيتاً. قال: ولم؟ قال: لِمَا جرى على يديك من الدماء قال: يا رب أوَلم يكن ذاك في هواك ومحبتك، قال: بلى ولكنهم عبادي وإمائي أرحمهم، فشقَّ ذلك على داود، فأوحى الله إليه: لا

(١) «فضائل القدس» ص ٧٩، والحير: الحظيرة أو البستان، أو المكان المنبسط المطمئن المرتفع الجوانب.

(٢) «فضائل القدس» ص ٨٠، ومن هنا إلى: فيما كان بالبيت المقدس من العجائب، ليس في (ب).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٤) في (ط): عن نافع عن ابن عمر، والمثبت من الموضوعات (٤١٠).

تحزن، فإني سأقضي ببنائه على يدي ابنك سليمان».

ثم قال جدي رحمه الله: هذا حديث موضوع، مُحالٌ يتنزّه الأنبياء عن مثله، ويقبح أن يقال: أبيح له قتل قوم، أو أُمر بذلك، ثم أبعد به عن الرضا عنه. قال ابنُ حبّان: محمد بن أيوب يروي الموضوعات، لا يحلُّ الاحتجاج به، وإنما يروى مثل هذا عن أبي عمرو الشيباني.

وقوله أيضاً: يا داود إنَّك أخذته بغير ثمن. لا يجوز مثله على آحاد الناس، فكيف على الأنبياء لأنه يكون غصباً، وهو محال في حقهم.

وقد روى الحسن البصري في مراسيله: أن داود لما شرع في بناء البيت المقدس جاء رجل صالح في زي فقير ليختبرهم فقال: إنَّ لي في هذه البقعة حصةً، وأنتم قد عزمتم على بنائها لله مسجداً، ولا أرضى أنْ تأخذوا أرضي بغير ثمن، فقال داود: أرضوه، قالوا: نعطيه مئة شاة فأبى، فقالوا: مئة بقرة، فأبى، فقالوا: مئة ناقة، فأبى، فلم يزالوا كذلك حتى ملؤوا أرضه ذهباً وفضة فقال: لا حاجة لي فيها، وإنما أردت أختبركم في طاعة ربكم. ثم مات داود ولم يتمه فأتمه سليمان.

وروى جدي بإسناده إلى كعب في «فضائل بيت المقدس»: عن رجاء بن حَيْوة عن أبيه قال: قَدِم كعب إِيلْياءَ فرشا من بعض أحبار اليهود[1] بضعةَ عشر ديناراً على أن دلَّه على الصخرة التي قام عليها سليمان حين فرغ من بناء المسجد، وهي مما يلي ناحية باب الأسباط، قام سليمان عليها ودعا بثلاث دعَواتٍ، فأراه الله تعجيل الإجابة في دعوتين، وأرجو أن يستجيب الله له في الآخرة. قال: اللهم هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فأعطاه الله ذلك، ثم قال: ربِّ هب لي حكماً يوافق حكمك، فأعطاه الله ذلك، ثم قال: اللهم لا يأت هذا المسجد أحدٌ يريدُ الصلاةَ فيه إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه.

قلت: وقد أخرج أحمد في «المسند» حديثاً فيه طرف يتعلق بهذا فقال: حدثنا

(١) كذا في (ط)، وفي فضائل القدس ١٤٣: فرشى من أحبار يهود، وفي تاريخ دمشق ٦٨/ ٣٥٢ (مجمع اللغة): فرشا ـ يعني ـ حبراً من أحبار اليهود.

معاوية بن عمرو بإسناده عن عبد الله الدَّيْلَمي قال: دخلت على عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو في حائطٍ له بالطَّائفِ يقال له: الوَهْطُ، وهو مُخاصِرٌ فتًى من قريش يُزَنُّ بشُرْبِ الخَمر، فقلت له: بلغني عنك حديثٌ: أنَّه مَن شَرِبَ الخَمرَ لم يَقْبَل اللهُ لَهُ تَوْبَةً أَرْبَعين صَبَاحاً، وأنَّ الشَّقي مَن شَقِيَ في بَطْن أُمِّهِ، وأنَّ مَنْ أتى بَيْتَ المَقْدِس لا يَنْهَزُهُ إلا الصلاةُ فيه خَرَجَ مِن خَطِيئَتِهِ كيومَ وَلَدَته أُمُّه، فلَمَّا سَمِعَ الفتى بذِكرِ الخَمر اجتَذَبَ يَدَهُ مِن يَدِهِ ثُمَّ انطلقَ، فقال عبد الله بن عَمْرو: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «مَن شَربَ مِنَ الخمر شَرْبَةً لَمْ يَقْبل الله لَهُ تَوْبة أربعينَ صَباحاً، فإنْ تابَ تابَ الله عليه، فإنْ عَادَ لم تُقبلْ لَه صلاةٌ أربَعينَ صَباحاً، فإن تابَ تابَ الله عليه، فإن عَاد ـ قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة ـ قال: فإن عَادَ كانَ حقّاً على الله أنْ يَسقيهُ مِنْ الصَّديد المُخْتَلِط يوم القيامةِ»[١].

قال: وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ خَلَق الخَلْقَ ـ أو خَلْقَهُ ـ من، أو في، ظُلْمَة، ثم أَلْقى عليهم مِن نُوره يَوْمئذ، فَمَن أصابه مِن نورِه اهتدَى، ومَن أَخطأَه ضَلَّ»، فلذلك أقولُ: جفَّ القلم على علم الله.

وسَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ سُلَيمان بنَ دَاوُد سأل الله ثلاثاً فأَعطَاه اثنَتَين، ونحن نَرْجو أن تكونَ لنا[٢] الثالثة، سأله حُكْماً يصادف حُكْمه فأعطاه إياه، وسأله مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ مِن بَعده فأَعطَاه إيَّاه، وسأله أَيُّما رَجُل خرجَ من بيتِه لا يريدُ إلا الصَّلاةَ في هذا المسجدِ خَرَجَ مِن خَطِيئَتِهِ كيومَ وَلَدَتْه أُمُّه، فنَحنُ نَرجُو أن يكونَ اللهُ قد أعطَاهُ إيَّاهُ»[٣].

وقال مقاتل: كانت الشَّياطين تأتيه باليواقيتِ من البحار فيحتاج إلى ثَقْبها، ولم يكن لهم خبرة بها، فسأل الشياطين عن ذلك فقالت: ما يعرف هذا إلا صخرٌ الجني، وإنَّه في جزيرة من جزائر البحر المظلم، ولا طاعة عليه لأحد. فطبع بخاتمه وبعثه مع العفاريت فجاؤوا به، فسأله سليمان عليه السلام عن ثقب اللؤلؤ فقال: لا يثقبها إلا

(١) في «المسند»: من ردغة الخبال يوم القيامة.

(٢) في «المسند»: له.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٦٤٤)، وقوله يُزَنُّ: يتهم.

حجر السامور، ولا أعرف معدنه ولا أعرف في الطيور أشدَّ من العُقَاب، فاجعل فراخَهُ في صندوق من حجارة، ثم اترك العُقَاب معهم ليلة، ثم أخرجه واترك فراخه في الصندوق فإنه سيأتي بالسامور، ففعل، فجاء العُقَاب بالسامور فثقب به الصندوق، فأخذه فثقبوا به اللآلىء، فهو إلى اليوم على ذلك.

## فصل يتعلق ببيت المقدس

ذكر جدي رحمه الله في «فضائل بيت المقدس» عن قتادة أنَّه في قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾: أنه جبل عليه بيت المقدس[١].

وقد جاء في الحديث: أن الوادي الشرقي من القدس وادي جهنم. أنبأنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي قال: حدثنا أبو السَّعَادات نصر الله بن عبد الرحمن القزَّاز بإسناده عن عثمان الرسلي عن أبي قال: قام عُبادة بن الصَّامِت[٢] على سور بَيْت المقدس الشرقي فبكى، فقال له بعض الحاضرين: ما يُبكيك؟ قال: من هاهنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم.

## فصل فيما كان بالبيت المقدس من العجائب

أنبأنا جدي رحمه الله قال: حدثنا المبارك بن أحمد بإسناده عن أبي مالك بن ثعلبة ابن أبي مالك القُرَظي قال: سمعتُ إبراهيم بن طَلحة بن عبيد الله يُحدِّث عن أبيه عن جدِّه يرفعه قال: «إنَّ ذا القَرنينِ كانَ مِن حِمْيَر، وإنَّه قَصَدَ البيتَ المقدسَ فَرَأى فيه مِنَ العَجَائبِ التي صَنَعها الضحَّاكُ بنُ قيسٍ في الزَّمانِ الأول».

إحدى تلك العجائبِ: أنَّه صَنَع ناراً عظيمةَ اللَّهب، فمن لم يُطِع تلك الليلة أحرقته.

---

(١) «فضائل القدس» ص ٧٠.

(٢) كذا جاء الإسناد في (ط)، وفي (ب): وقال أبو سودة، وأخرجه ابن حبان (٧٤٦٤)، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١٢٩، والثعلبي في تفسيره ٩/ ٢٣٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ١٩٤ـ١٩٥، وابن الجوزي في فضائل بيت المقدس ١٢٠ـ١٢١ (المطبوع باسم فضائل القدس) من طريق أبي نصر التمار، عن سعيد بن عبد العزيز، عن زياد بن أبي سودة: أن عبادة بن الصامت . . . قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٧٨٢٥): منقطع، زياد لم يسمع من عبادة.

والثانية: من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابةُ عليه.

والثالثة: وضع كلباً من خشب على باب البلد، فمن كان عنده شيء من السِّحْر واجتاز بالكلب نبح عليه، فإذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر.

والرابعة: وضع باباً، فمن دخله وكان ظالماً ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه.

والخامسة: وضع عصاً في محراب بيت المقدس، فلا يقدر أن يمسَّها إلا مَنْ كان من ولد الأنبياء، فإن كان من غيرهم أحْرَقَتْ يَدَهُ.

والسادسة: أنهم كانوا يَحْبِسون أولاد الملوك في المحراب، فمن كان من أهل المملكة فإذا أصبح أصابوا يده مطليَّة بالدُّهن[1]، وذكر حديث السلسلة التي كانت لسليمان وسنذكرها.

قال ابن سيرين: صنع سليمان قبةً في المسجد وطلاها بالخُضْرة، وصقل حائطها، فكان إذا دخلها الرجل الصالح استبان خياله في الحائط أبيض، وإذا دخلها الفاسق استبان ظله أسود.

## فصل في فِطْنَة سليمان

حدثنا غير واحد عن أبي البَرَكَات الحافظ المعروف بابن الأنماطي بإسناده عن محمد بن كَعب القُرَظيِّ قال: جاء رجل إلى سليمان فقال: يا نبيَّ الله، إنَّ جيراني يسرقون إوَزِّي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم وقال في خطبته: وأحدكم يسرقُ إوزَّ أخيه ثم يدخلُ المسجدَ والريشُ على رأسه، فمسحَ رجل منهم يده على رأسه، فقال سليمان: خذوه، فإنَّه صاحبكم[2].

وقال أبو نعيم الأصفهاني: حدثنا سليمان بن أحمد بإسناده عن مَكْحُول عن أبي هريرة قال: بينما سليمان بن داودَ عليه السلام في موكبه إذ مرَّ بامرأة تصيح بابنها: يا لادين، فوقف سليمان فقال: إن دين الله الظاهر، وأرسل إلى المرأة فسألها عن ذلك

(١) «فضائل القدس» ص ٨١ـ٨٢.

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة (٣١٠٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٠، وهو في الأذكياء لابن الجوزي ٢٧.

فقالت: إنَّ زوجها سافر ومعه شريكٌ له ثم قدم، فزعم أن زوجها مات، وأَوصى إلى شريك له إنْ ولد له غلام يسمِّيه: لادين، فسأل سليمان عن الشريك وطلبه، فحضر بين يديه وقال له: ما هذا؟ وهدده فاعترف بأنه قتل أبا الغلام، فقتله سليمان[١].

## فصل في تعليمه منطق الطَّير

روى أبو صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[النمل: ١٦] كما نفهم لغة بني آدم. وقال مقاتل: كان سليمان جالساً فمرَّ به طائر يرفرف ويصيح، فقال سليمان لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر؟ قالوا: الله أعلم وأنت يا نبيَّ الله، قال: إنه يقول: السلام عليك أيُّها المَلِكُ المسلَّط على بني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوِّك، إني لمنطلق إلى فراخي وأعودُ إلى خدمتك. قال سليمان: وإنَّه سَيَرْجع إلينا. قال: ومضى الطائر ثُمَّ عاد فوقف على سليمان، ثم قال لسليمان: أيها الملك إن أَذنتَ لي أن أكتسب لفراخي حتى يشبُّوا ثم آتيك فافعل بي ما شئتَ، فأخبرهم سليمان بما قال وأَذِنَ لهُ.

وقال فرقد السبخي: مرَّ سليمان على بلبل وهو على شجرة يحرك رأسه ويترنم ويميل ذنبه فقال: هل تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: أكلت اليوم تمرة فعلى الدنيا العفاء. وقد ذكر الثعلبي «في تفسيره» العَجَائبَ من هذا الجنس، والله أعلم[٢].

## فصل في ممرّه على وادي النمل وغيره

قال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

قال مقاتل: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

قال مجاهد: كان قد جعل الله على كل صنف منهم وَزَعةً يحبسون أُولاهم على

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣٠١)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٧٦، وهو في الأذكياء ٢٦ـ٢٧.
(٢) تفسير الثعلبي ٧/ ١٩٣ فما بعدها، وانظر «عرائس المجالس» ص ٢٩٦ـ٢٩٧.

أخراهم حتى يقف كلُّ صنف منهم عند حدِّه ولا يتقدم في السَّيْر كما يفعل الملوك. وأصل الوَزْعِ: الكفُّ والمَنْعُ.

وقال وهب: مرَّ سليمان على وادي النَّمل، واختلفوا فيه، قال قوم: هو بالطَّائِف، وقال قوم آخرون: بالمغرب، وقيل: بالساحل، وقيل: بالمشرق.

فخرجت نَملة عرجاء اسمها منذرة، فجعلت تمشي وتَتَكاوَس[١]، فلما رأتِ البساط وما عليه من الجيوش ذُهلت ونادت، فقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] الآية، فألقت الريحُ قولها في سمع سليمان ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] ووقف ببساطه. قال الضَّحَّاك: اسمها طاخية، وقال مقاتل: حرمى. ثم أحضرها بين يديه وقال لها: حذَّرتِ إخوانكِ ظلمنا والأنبياءُ لا يظلمون، قالت: معاذ الله. قال: فكيف قلت: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[النمل: ١٨] فأجابت بجوابين:

أحدهما: قالت: أما سمعتَ قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل: ١٨].

والثاني: أنها قالت: ما أردت حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب، خفت أن يتمنَّين ما أُعطيتَ فيَشتغِلْنَ عن ذكر الله ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[٢].

قال جدي رحمه الله: إنَّما تبسم ضاحكاً من فصاحتها، لأنها جمعتْ في الآية الفصاحة كلَّها وذلك لأن قولها: ﴿يا﴾: نادت، ﴿أيها﴾: نبَّهت، ﴿النمل﴾: عيَّنتْ، ﴿ادخلوا﴾: أمرت، ﴿مساكنكم﴾: نصَّت، ﴿لا يَحطِمَنَّكم﴾: حذَّرت، ﴿سليمان﴾: خصَّت، ﴿وجنوده﴾: عَمَّت، ﴿وهم لا يشعرون﴾: عَذَرتْ[٣].

قال مقاتل: قال لها سليمان: عِظيني، فقالت: لمَ سُمِّي أبوك داود وأنت سليمان؟ قال: لا أدري. قالت: لأنه داوى جرحه بمراهم التوبة فوداه ربه، وأنت سليم، آن لك أن تلحق بأبيك[٤].

---

(١) الكوس: المشي على رجل واحدة، ومن ذوات الأربع على ثلاث قوائم.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٢٩٨ـ٢٩٩، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٩٤ وما بعدها وعنه وعن زاد المسير ينقل تفسير الآيات.

(٣) «زاد المسير» ٦/ ١٦٢.

(٤) انظر «عرائس المجالس» ص ٢٩٩.

وقد ذكرنا أنها قالت له: إني لأجد رائحة الحسد من قولك: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

قال وهب: كانت النملة بقدر الذئب[١].

وفي حديث ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً: نهى رسولُ الله ﷺ عن قَتْلِ الهُدْهُد والصُّرَد والنَّحْلَة والنَّمْلَة[٢].

قال وهب: احتاج سليمان إلى حِنطَةٍ فبعث إلى وادي النَّمل فاقترض منهم، فقالت النملة: إلى غداةِ غدٍ، فلما أصبحوا إذا الوادي بأسره حِنطة، فلما أخصبت الأرض بعث إليهم سليمان أضعاف ذلك، فأخذوا مثلما أقرضوا وردُّوا الباقي، فأرسل إليهم سليمان يَعْتِبهُم على ذلك، فقالت النَّملة: إنَّا معاشر النَّمل لا نأكل الربا.

وحدثنا عبد الله بن أبي المَجْد الحربي وجدي رحمة الله عليهما قالا: حدثنا هبة الله ابن الحسين بإسناده عن أبي الصديق النَّاجي قال: خرج سليمان يَسْتَسقي، فمرَّ بنَمْلَة وقد استلقت ورفعت قَوائمَها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنَّا خلقٌ من خَلْقِكَ ليس لنا غنًى عن سؤالك، فإمّا أن تَسقِيَنَا وإمَّا أنْ تُهلِكَنَا، فقال سليمان: ارجعوا فقد سُقيتم بدعوة غيركم، قال: فَسُقُوا[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن وهب بن منبه قال: ركب سليمان يوماً على الريح فمرَّ بحرَّاثٍ فنظر إليه فقال: لقد أوتي ابن داودَ ملكاً عَظِيماً، فحملت الرِّيح كلامه فأَلْقَتْه في أذن سليمان، فنزل من البساط ووقف على الحرَّاث فقال: قد سمعتُ ما قلتَ وإنَّما مشيتُ إليك لئلا تتمنَّى ما لا تقدر عليه، لتَسبيحةٌ واحدة يقبلها الله خيرٌ مما أُوتي آل داود، فقال الحرَّاث: أَذهبَ الله همَّكَ كما أذهبتَ هَمِّي[٤].

وفي رواية: أنَّ الحرَّاث لمَّا قال ذلك ناداه مَلَكٌ مِنَ السماء: لَتَسبيحةٌ واحدةٌ خيرٌ

---

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٢٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٦٦) مرفوعاً.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠١٠١) و(٣٥٤١٤) (طبعة عوامة)، وأحمد في الزهد ١١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٠٣)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٠١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨٦.

(٤) «الزهد» ص ٥١، و«عرائس المجالس» ص ٢٩٥ـ٢٩٦.

مما أوتي ابن داود، قال: ولمَ؟ قال: لأن التَّسبيحَة تبقى ومُلْك ابن داود يَفنى.

وفي رواية: أنَّ الحرَّاث لما رأى البساط قال: لو أن ابن داود عندي كلَّمته بثلاث كلماتٍ، فأوحى الله إليه انزل إليه، فنزل سليمان وقال: ما الكلمات؟ قال:

أما الأولى، فإني قلتُ: والله ما سليمان في لذةٍ التذَّ بها أمسِ وأنا في تعبٍ تعبته أمس إلا سواءً، فلا هو واجد لَذَّة أمس ولا أنا وجدْتُ تعبَ أمس.

والثانية: قلتُ: سليمان يموت وأنا أموت.

والثالثة: قلتُ: سليمان سأل وأُعْطيَ وأنا لا أسأل[1]، فخرَّ سُلَيْمان يبكي ويقول: إلهي لولا أنك جَواد لا تبخل لسألتك أنْ تَنْزِعَ عنِّي ما أعطيتَني.

قال كعب: مرَّ سليمان في طريقه إلى اليَمَن على يَثْرِب فقال: هذه مُهاجَرُ نبيٍّ يُبعثُ في آخر الزمان، فطوبى لمن رآه وآمن به. قال: ثم مرَّ على البيت فرأى حوله أصناماً تُعبدُ من دون الله فجاوزهُ لم ينزل عنده، فبكى البيتُ، فأوحى الله إلى البيت: سأملؤك وجوهاً سجداً، وأُنزل فيك قرآناً، وأبعثُ منك نبياً في آخر الزمان هو أحبُّ أنبيائي إليَّ، وأُسْكِنُ حَولك عُمَّاراً من أمَّته يعبدونني ويمجِّدونني ويطهِّرونك من الأصنام، وأفترضُ زيارتك عليهم، يَزِفُّون إليك زَفيف النسور إلى أوكارها، ويحنُّون إليك حنينَ النوق إلى أولادها، وسيعود إليك سليمانُ ويَقضي واجبَ حقِّكَ. فلمَّا عاد نزل به وكسر الأصنام وطاف به وذبح الذبائح وقضى نُسُكَه[2].

## فصل في عرض الخيل على سليمان

وهل عقرها قبل وقوع المحنة أو بعدها؟ فيه قولان.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [ص: ٣١] العشيّ: ما بعد الزَّوال، لأن النهار قسمان غداة وعشي، فالغداة من طُلُوع الفجر إلى وقت الزَّوال، والعشيُّ ما بعد الزَّوال إلى غروب الشمس.

---

(١) في (ب): «سليمان يسأل غداً وأنا لا أسأل».

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٢٩٨.

والصافنات: الخيل التي تقوم على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل. قاله مجاهد وابن زيد، واختاره الزَّجاج واحتجَّ بقول الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونَ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلى الثَّلاثِ كَسِيْرا[1]

قال الفرَّاء: إنَّها القائمة، سواء أكانت على ثلاث قوائم أو على أربع، ومنه قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحبَّ أنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صفوناً فليتبوَّأ مقعدَهُ مِنَ النَّار»[2].

وأما الجياد: فهي السِّراعُ في الجَرْي.

وفي سبب عرضها عليه أقوال:

أحدها: أنه أراد جهاد عدوٍّ له، قاله علي عليه السلام.

والثاني: أنها أُخرجت له من البحر، قاله الحَسَن ووهب.

وقال وهب: قيل لسليمان: إنَّ خيلاً بَلْقَاء لها أَجنحةٌ تطير بها وإنَّها تردُ ماءَ كذا في جزيرة كذا وكذا، فأمر الشياطين بإحضارها فأخذوا سلاسل ولجماً وجاؤوا إلى العين التي تشرب منها، فسكبوا فيها الخمر، فجاءت فشربت، فوضعوا اللُّجُمَ في رؤوسها والسلاسل في أعناقها وجاؤوا بها إليه فاستعرضها[3].

والثالث: أنه ورثها عن أبيه فعُرضت عليه، قاله ابن السَّائب.

والرابع: أنه غزا أهل دمشق فأصابها منهم، فجلس يعرضها، قاله مقاتل.

واختلفوا في عددها على أقوال:

---

(١) البيت في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٠، وتفسير الماوردي ٥/ ٩٢، وزاد المسير ٧/ ١٢٧، والتبصرة ١/ ٢٨٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩١، وأساس البلاغة، واللسان، وتاج العروس (صفن) دون نسبة.

(٢) أورده بهذا اللفظ الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٩٧، والثعلبي في تفسيره ٨/ ٢٠٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٩١، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩١، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٢٧، والتبصرة ١/ ٢٨٩، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٤٢: لم أجده هكذا.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

(٣) انظر «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٢٤٠.

أحدها: أنها كانت ألف فرسٍ، قاله ابنُ السَّائب الكلبي.

والثاني: أربعين، قاله كعب، وقال: ظلمها بعقرها، فسلبه الله ملكه أربعين يوماً.

والثالث: أربعة عشر، قال كعب: فعاقبه الله بزوال ملكه أربعة عشر يوماً.

والرابع: كانت عشرين، قاله مقاتل وإبراهيم التيمي.

وحكى جدي في «التبصرة» قولين: أحدهما عن وهب: أنها كانت ثلاثة عشر ألفاً.

والثاني: عشرين ألفاً. عن سعيد بن [جبير و] مسروق[(١)].

والقولان بعيدان. ويحتمل أن الكاتب أراد أن يقول ثلاثة عشر أو عشرين فزاد ألفاً.

قال ابن عباس: صلى سليمان الظُّهر وقعد على كرسيِّه وهي تُعرَض عليه حتى فاتته صلاة العصر فاغتمَّ لذلك قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[ص: ٣٣] فعرقبها وقربها إلى الله، قال مقاتل: وبقي منها مئة فرس، فجميع ما في أيدي الناس من الخيل من تلك المئة.

قال محمد بن السائب الكلبي: ورد عليه قوم من الأزد أصهاره فقالوا: يا نبيَّ الله إن أرضنا شاسعة فزوِّدْنا زاداً يبلِّغنا، فأعطاهم فرساً من تلك الخيل وقال: إذا نزلتم منزلاً فاحملوا عليه غلاماً واحتطبوا، فإنكم لا تورون ناراً ـ أو ناركم ـ حتى يأتيكم بصيد، ففعلوا ذلك، فكان الغلام لا تقع عينه على شيء من الصيد فيفلت، فما زالوا كذلك حتى وصلوا إلى بلادهم فسمَّوه: زاد الراكب، فأصلُ فحولِ العرب من نتاجه[(٢)] قال: وكان فحل مالك بن عامر الذي يقال له: أعوج منها، ويقال: إنه كان لعمرو بن نهيك، وفيه يقول لبيد[(٣)]:

مَعاقِلُنَا التي نأْوي إليهَا ... بَناتُ الأَعْوَجيَّةِ والسُّيوفُ

ومنها: الغَضْبَان فرسٌ كان لهارون الرَّشيد، وسنذكره.

قال مقاتل: مازالت الخيل تُعرض عليه حتى فاتته صلاة العصر وكان مَهيباً، فلم

(١) «التبصرة» ١/ ٢٨٩، وما بين معكوفين منه.

(٢) انظر «أنساب الخيل» ص ١٣ـ١٤، والعقد ١/ ١٥٧.

(٣) البيت في ديوانه: ص ٣٥١.

يتجاسر أحدٌ أنْ يذكِّره، فلما غابت ذَكَر فقال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾[ص: ٣٢] يعني الصلاة.

واختلفوا في معنى قوله ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ على قولين:

أحدهما: أنه أشار إلى الخيل، في قولِ عامَّة المفسرين.

والثاني: إلى الشمس، كأنه قال: يا ملائكة الله رُدُّوا الشمسَ عليَّ، أي: أمسكوها، وكانت قد غابت.

فإن قيل: فقد وقفت الشمس ليُوشَع بن نُون، وكان سليمان أعظمَ منه مُلكاً، فالجواب من وجوه:

أحدها: يوشع إنما سأل وقوفَ الشمس ليجاهد في سبيل الله، وسليمان كان مشغولاً بالزينة والنظر إلى الخيل لا لأجل الجهاد، وخاف يُوشَع دخول السبت، أما سليمان فلا.

والثاني: أنَّ فتح أَرِيْحا كان معجزةً، لأنه شرع فيه وأتمَّه يُوشَع، وموسى أفضل منه، فكان وقوف الشمس من معجزات موسى.

والثالث: أنها بعد الغروب لا يمكن عودها لاختلاف الأفلاك، أما وقوفها فممكنٌ لأنها تسير قليلاً قليلاً.

وفي المراد[١] بالمسح قولان:

أحدهما: أنه ضَرَبها بالسيف، رواه أُبيُّ بن كعب عن رسول الله ﷺ[٢].

والثاني: أنه كوى سوقها وأعناقها وحبسها في سبيل الله. حكاه الثعلبيُّ[٣].

والعلماء على الأول.

فإن قيل: فكيف جاز له ذلك، وعقوبة مَن لم يذنب على وجه التَّشفِّي من فعل

---

(١) من قوله: ومنها الغضبان . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٠: فيه سعيد بن بشير وثقه شعبة وغيره وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر تفسير الثعلبي ٨/ ٢٠١، و«عرائس المجالس» ص ٣٠٥.

الجَبَابِرة لا من فعل الأنبياء؟

فالجواب: أنه نبيٌّ معصوم، فلم يكن يفعل إلا ما أجيز له فعله، وجائز أن يُباحَ له ما يمنع منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، فما وقع منه تفريط، ألا ترى أنَّ الله سخَّر له الرِّيح مكانها، ولو كان ذلك الفعلُ حراماً لما فعله، لأنَّ الأنبياء لا يفعلون الحرام(١).

وقد قال علي عليه السلام: كان عقر الخيل بعد الوقوع في المحنة، ولما بلغه قول كعب: إنَّه عقر أربعين فرساً فَسَلَبَه اللهُ الملك أربعين يوماً فقال: كذبَ كعبٌ، إنَّما كان عقر الخيل بعد المحنة ولا عَرْقَبها إلا لمَّا فاتته الصلاةُ، وأنبياء الله لا يَظلمون ولا يأمرون بالظلم.

قال ابن عباس: كان عقر الخيل قبل المحنة، وهو الظاهر، لأن المحنة كانت في آخر عمره، لما يذكر.

قال: وقد قال أبو حنيفة: يُكره أكل لحوم الخيل لما فيه من تقليل آلة الجهاد، قال ﷺ: «الخَيْل مَعْقُودٌ في نَوَاصِيها الخَيْر والنَّيْلُ إلى يَومِ القيَامَةِ»(٢). وهذا دَليل على أنَّها مكرمة وفي الذبح إهانتها. وعند الباقين من الفقهاء: لا يكره لأنَّها من المباحات كالإبل والبقر والغنم، والفرق لأبي حنيفة ظاهر لما عرف من مسائل الخلاف.

## فصل في قصة الهدهد وبلقيس(٣)

قال الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]. وقال الجوهري: الهدهد طائر معروف، والهداهد مثله، وهداد حي من اليمن(٤).

---

(١) انظر «زاد المسير» ٧/ ١٣٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٧٩١)، من حديث جابر وأصله في «البخاري» (٣٦٤٣)، و«مسلم» (١٨٧٢) من حديث ابن عمر بلفظ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(٣) من قوله: حكاه الثعلبي . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٤) «الصحاح»: (هدد).

قال علماء السِّير: إنما تفقد الهدهد من دون سائر الطيور لوجهين:

أحدهما: لأنه كان يدلُّه على الماء، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

والثاني: لأن سليمان كان إذا سافر جلس على كرسيه، وتوضع الكراسي عن يمينه وشماله، وتقوم الجنُّ في خدمته، وتظله الطير، ولكلِّ جنس مقام، وكان موقف الهدهد على رأسه يُظلُّه من الشمس[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان هذا بعد فراغه من بناء البيت المقدس، فإنه عزم على دخول الحجاز واليَمَن، فسار في جنوده على عادته والبساطُ يُقِلُّه، فأتى حرم مَكَّة فنزل به، وأقام أياماً يطوف بالبيت ويسعى ويَعتمر، ويذبح كلَّ يوم خمسة آلاف ناقة وعشرة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة.

وقال مجاهد: قال سليمان لأصحابه: هذا مكان شريف يخرج منه نبيٌّ كريم اسمه محمد، وفي «التوراة»: أحمد، يُعْطى النَّصر على مَن ناوَأه، وتبلغُ هَيبَتُه مسيرةَ شهر، القريب والبعيد عنده في الحقِّ سواء، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، يدين بدين الحنيفية، يخرج بعد ألف عام، ثم كسر الأصنام وقضى نُسُكَه. وقيل: إنَّه قال: وإنَّ اسمه لفي زبر الأنبياء: منيب، ثم دخل إلى اليمن.

وكان كثير الغزو لا يَسمع بملك في أطراف الأرض إلا غزاه وأَذلَّه، فسار من مكة يؤمُّ سُهَيلاً حتى أتى موضع صَنْعَاء، ولم تكن بُنِيَتْ بعد، وإنما أتى مكانها وقت الزوال، وكان قد خرج من مكة وقتَ الفجر، وذلك بمقدار سير شهر للراكب المجدِّ، فرأى أرضاً خضراء فأعجبته، فنزل بها ليتغدّى ويصلي الظُّهر، فطلب الماءَ فلم يجد، فسأل الشياطين فقالوا: لا يَعلمُ مكانَ الماء إلا الهدهد، فطلبه فلم يجده.

قال ابن عباس: كان الهدهد يدُلُّه على الماء، وهو يراه من تحت الأرض كما يراه الإنسان في كأسه، ينقر الأرض فيعرف مكان الماء ويستخرجه الشياطين، ولما سمع نافع بن الأزرق هذا من ابن عباس قال: كيف يبصر الماءَ من تحت الأرض ولا يبصر الفخَّ حتى يجيء فيقع فيه فيأخذ بعنقه؟! فقال له ابن عباس: وَيحَك إذا جاء القَدَر حال

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٣.

دونَ البصر[١].

وقال جدي رحمه الله: كان الهدهد ينظر إلى الماء في باطن الأرض كما ينظره في الزجاج، غير أن القدر إذا نصبَ فَخَّ شخصٍ بُدِّل عَذْبُ نظرِهِ بالأُجاج.

قال ابن عباس: لما نزل سليمان بأرض صَنْعَاء قال الهدهد: إنَّ سليمان قد اشتغل بنزوله عني، فارتفع نحو السماء فنظر الدنيا يميناً وشمالاً، فرأى بستان بِلْقيس، فمال إلى الخضرة فنزل به، وإذا بهدهدٍ في البستان، وكان هدهدَ بلْقيس، واسمه: عفير، واسم هدهد سليمان: يعفور. فقال له عفير: من أين أقبلت؟ فقال: من الشام مع صاحبي سليمان بن داود. قال: ومَن سليمان؟ قال: ملِكُ الإنس والجن والطير والوحش والرِّيح، فَمَن أنتَ؟ فقال: أنا صاحبُ بلْقيس، مَلِكة عظيمة. فقال له يعفور: أقول لك نبي الله ابن نبي الله داود آتاه الله ملكاً عظيماً، وأنت تقول امرأة، فقال: هي وإن كانت امرأة فإن تحت يدها اثني عشر ألف قائد ـ أو قَيْل ـ تحت يد كل قائد مئة ألف مقاتل. كذا ذكر الثعلبي[٢].

وحكى الثعلبي عن ابن عباس أنه قال: كان معها مئة ألف قَيْل مع كل قَيْل مئة ألف، وقد ذكره جدي في «التبصرة» وفيه بُعْدٌ[٣].

وقال قتادة: كانت تحت يدها اثنا عشر ألف قَيْل، تحت يَد كل قَيْل اثنا عشر ألفاً ـ والقَيْل بلغة حمير دون الملك ـ فهل أنك منطلق معي حتى تنظر إلى مُلكها؟ فقال: أخاف أن يتفقدني سليمان وقتَ الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال عفير: إنَّ صاحبك يسرُّهُ أن يأتيه خبر هذه المرأة، أو الملكة. فانطلقَ به فأراه قصرها ومُلْكها، وما رجع إلى سليمان إلى وقت العصر.

قال مقاتل: وأمَّا سليمان فلما تفقَّده ولم يره قال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل: ٢٠] ومعناه ما للهدهد لا أراه، فَطُلِبَ فلم يوجد، وقيل: إنما طلبه

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٣.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٣.

(٣) لم نقف عليه في التبصرة، وذكره في زاد المسير ١٠٤٥ (طبعة ابن حزم)، وانظر تفسير الثعلبي ٧/ ٢٠٠، ٢٠٥.

لأنه أخلَّ بالخدمة وترك النوبة في مقامه، وقيل: لأجل الماء، وقد رجح بعضهم أنه إنما تفقده لكونه أخلَّ بالخدمة لا لأنه كان يدله على الماء، قالوا: لأنَّ سليمانَ في عظمته ومملكته أجلُّ من أن يحتاج إلى هدهد يدله على الماء. وليس هذا القول، بشيء لأنَّ عامة العلماء وابن عباس على أنه كان يدلُّه على الماء. والمعنى فيه: أنَّ الله جعله دليلاً على الماء إظهاراً للكمال والقدرة وتعجيزاً لسليمان مع عِظم مملكته، فأحوجه إلى طير حقير يدلُّه على الماء الذي به بقاءُ الأَرواح، ليعلم أنَّ الكمالَ لله، ولئلا يعجب بنفسه.

وقوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ قيل: معناه بل كان. ثم توعده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ واختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: لأنتفنَّ ريشه، قاله ابن عباس والجمهور.

والثاني: لألقينَّه في الشمس ممعوطاً، قاله زيد بن أسلم.

والثالث: لأَجعلنه في قفص، قاله عكرمة.

والرابع: لأحبسنَّه مع غير أبناء جنسه، قاله قتادة.

والخامس: لأُفرقنَّ بينه وبين أحبابه، قاله الحسن.

والسادس: لأمنعنَّه من خدمتي[1].

ثم قال: ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ جعل الذبح آخر العذاب ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[النمل: ٢١] أي: بحجة واضحة. وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن، فالمراد به الحجة[2].

قال مقاتل: ولما غضب سليمان على الهدهدِ دعا بعرفاء الطُّيور وهما النسر والعُقاب، وقيل: إنما دعا بالعُقاب، وهو ملك الطير، فقال: عليَّ الساعةَ بالهدهد، فارتفع العُقاب إلى عنان السماء فنظر يميناً وشمالاً فرأى الأرض كالقصعة، ونظر نحو اليمين وإذا بالهدهد قد أقبل، فانقضَّ عليه العُقاب، فعلم أنه يريده بسوء، فقال له:

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٤، والممعوط: المنتوف الريش.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٤.

بالذي أَقْدَرَكَ عليَّ إلّا ما رحمتني، فقال: وَيحك إنَّ نبيَّ الله قد آلى أنْ يُعَذِّبك عذاباً شديداً فقال: وما استثنى؟ قال: بلى، قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وجاء فوقف بين يدي سليمان خاشعاً ذليلاً فتواعده بالعذاب، فقال له: اذكر وقوفك بين يدي الله أذلَّ من وقوفي بين يديك، فانتفض سليمان من خَشية الله تعالى ثم قال له: أين كنت؟ قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[النمل: ٢٢]. قال ابن عباس. ومعنى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[النمل: ٢٢] أنه غاب عنه من الظهر إلى العصر، قال مقاتل: ومعنى ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي علمتُ بما لم تعلم مع عظيم سُلْطانك وحقارتي.

فإن قيل: فمن أين للهدهد هذا الإقدام على مثل سليمان؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه لما قيل له إنَّ سليمان قد توعَّدك قال: أما قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ فتهديد مَلِك، والحلمُ أحسن. وأما قوله: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ فقول من لم ينظر في العواقب ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ سؤال لازم يقتضي الجواب وهو على ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾. فقيل له: كيف تجاسر الهدهد على هذا؟ فقال: وهو الثاني: إنّ الهدهد كان مُحِقّاً والمحقُّ ما يخاف.

والثالث: إنه قول مستقبل والمستقبل لا يلتفت إليه.

والرابع: أنه شغله بحديث يحتاج إلى فكرة ورويَّة، وفي تلك المدة يسكن الغضب، ألا ترى إلى قوله: ﴿سَنَنظُرُ﴾.

والخامس: أنه شغله بذكر الزوجة ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[النمل: ٢٣] فكأنه يقول: إنْ لم تكن بك رغبة في تزويجها فارغب في مالها بطريق الاستيلاء، ومهما حصل لك من القسمين فهو فدائي من القتل.

والسادس: اشتغلْ عن قتل عاجز بين يديك بذكر عجزك عن قادر يقتدر عليك.

والسابع: أنا مؤمن وقومُها وهي كفار، فاشتغل بقتلهم عن قتلي .﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[النمل: ٢٤] فاشتغلْ بقتل من يسجد لغير الله عن قتل من يسجد لله.

والثامن: أنَّ الأنبياء إنما بُعثوا بالعدل، ومن العدل أن تكون العقوبة على قدر

الذنب، فلم جعلتَ غايةَ الحدود وهو القتل في مقابلة ساعة؟

والتاسع: إن فاتكَ الماء فما فاتك المال والملك.

والعاشر: أن لابدَّ للخادم من ساعة يستريح فيها ويتشاغل بمصالح نفسه عن مخدومه.

والحادي عشر: أنا وإن غبتُ عنك ساعةً فإنما كنت في خدمتك ومصالحك، وقد أقام القرآن عذري ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

والثاني عشر: لمَ قدمتَ العقوبةَ قبل إتيان الحجة ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ هلَّا قلت: إن لم يأت بحجَّةٍ عذَّبته.

والثالث عشر: إنما ينبغي أن يُهَدَّدَ بالقتل المماثل في المرتبة.

والرابع عشر: ليس العجب من تهدُّدِكَ لي مع القدرة، وإنما العجب من مناظرتي وأنا عاجزٌ عن ردِّ القتل.

والخامس عشر: إنني قد عَرَّفتكَ حالةً ما فهمها غيري، فإذا قتلتني لم تجدْ من يدُلُّكَ على مثلها، فيفوتك ما هو أعظم من قتلي.

والسادس عشر: إنَّك ادَّعيتَ أن الله قد آتاك ملكاً لم يُؤْتِه أحداً من قبلك، أفترضى أن تكون قدرتك على قتل طُوَيْرٍ حقير أقبلَ مِن عند مَن أُوتيتْ من كلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيم؟

والسابع عشر: أنَّ مِن عادة الملوك إذا أرسلوا رسولاً في مهمٍّ أحسنوا إليه، أفيحسنُ بك وقد أتيتك بخبر لو اجتمع عليه رسل الدنيا وطيورها لما قدروا على الإتيان بمثله، أنْ تكون جائزتي القتل.

والثامن عشر: إنَّك إذا قتلتني على ذنبٍ حقير، نَفَر عنك أربابُ الدولة، فدع قتلي حفظاً لدوام مُلكك.

والتاسع عشر: إنني من بعض رعاياك وأنت مسؤولٌ عنِّي فكيف تقتلني، فجزاء سيئة سيئة مثلها.

والعشرون: إنك إنما عزَّ عليك غيبتي لفوات الماء، وكم قد فاتني حظِّي منك وما

طالبتك به.

والحادي والعشرون مثله: إنك إنما عزَّ عليك غيبتي لفوات الماء وكم قد فاتني حظي منك وما طالبتك، وإنَّ العفوَ أحسنُ مِنَ العقوبة فأين تأثير ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾[الزمر: ١٨].

والثاني والعشرون: هلَّا تذكرتَ ذنبكَ الذي أوجب أَخذَ الخاتم منك، واشتغلت به عن يسير ذَنبي؟

والثالث والعشرون: أنَّك تدَّعي الفِطنة، وأنا قد أتيتك بحجةٍ ذكيٍّ ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ عامة القُرَّاء على عدم صرف «سَبَأ»، وهو اختيار أبي عبيد والحسن وأبي عمرو وابن كثير، جعلوه اسماً للقبيلة، وصرفه آخرون جعلوه اسماً لرجل معروف[١].

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن سَبَأ أَرَجلٌ هو أو امرأة أم أرض أم جبل أم واد؟ فقال النبي ﷺ: «بَلْ رَجُلٌ وَلَد عشرةً، سكن اليَمَنَ منهم ستة، والشامَ أربعة، فأما اليمانيون فَمَذْحِج وكِنْدَة والأَزْدُ والأَشْعَرِيُّون وحِمْيَر وأَنْمَار، وأمَّا الشاميون فلَخْم وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان»[٢].

وقال الزبير بن بَكار: هو سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، قلت: وهذا يدل على صرفه.

﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[النمل: ٢٢] أي: لا شك فيه.

قوله: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ واختلفوا في اسمها واسم أبيها:

فقال ابن عباس: هي بلْقِيس بنت ذي شرح بن الحارث بن صيفي[٣] بن سَبَأ بن

(١) انظر النكت والعيون ٤/ ٢٠٣، وتفسير الثعلبي ٧/ ٢٠١، وزاد المسير ٦/ ١٦٤ـ١٦٥، والنشر لابن الجزري ٢/ ٣٣٧.

(٢) أحمد في «مسنده» (٢٨٩٨).

(٣) «تاريخ الطبري» ١/ ٤٨٩ والمصادر السالفة قبل حاشيتين.

يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويلقب أبوها بالهدهاد.

وقال عكرمة: بِلْقِيس بنت شراحيل بن ذي جَدَن.

وقال قتادة: بلْقِيس لقب لها، واسمها: بلقمة بنت ذي شرح، وقيل: بنت الشيصبان، وقيل: اسمها ليلى.

وحكى أبو القاسم في «تاريخ دمشق» عن الحسن أنَّ سَبَأ مدينة باليمَن، وبِلْقِيس من حِمْيَر بنت شرحبيل، قال: وقال الحسن البصري أيضاً: أنَّ ملكة سبأ اسمها ليلى.

وحكى أبو القاسم أيضاً في «تاريخه» أنَّ ذا القرنين مَلَكَ الأرض كلَّها إلا بلاد بِلْقِيس، وكان ذو القرنين إذا أراد أنْ يحارب أهل مدينة لبس ثيابَ المساكين، ودخل المدينة فكشف عورتها قبل أنْ يقاتل أهلها. فأخبرت بلْقيس بذلك، فبعثت مَنْ صوَّر صورته في زيّ المساكين ثُمَّ جعلت تطعم المساكين في كلِّ يوم، فإذا أكلوا اعترضتهم واحداً واحداً إلى أنْ جاء ذو القَرنين فعرفته، فقالت: والله لا أفارقك إلا أن تكتب لي كتابَ أمانٍ على مُلكي، وإلا قتلتكَ. فكتبَ لها[1].

قلت: والعجب مِن أبي القاسم كيف يحكي مثل هذا، وذو القرنين كان في زمان الخليل عليه السلام، وأين زمان الخليل من زمان سليمان، بينهما ألوف سنين.

ثم ذكر أبو القاسم أنَّ بلْقِيس لم يَطُل عمرها وأنها ملكت سبع سنين، وهذا تناقض ظاهر.

وحكى المسعودي من هذا الجنس فقال: إن أبا بلْقِيس خرج يوماً يتصيد فرأى حيتين بيضاء وسوداء، فأمر بقتلهما فانتفضتا، فخرج رجل وامرأة وإذا بالمرأة ابنة الرجل فرآها جميلة، فزوَّجه أبوها إياها، فولدت بلْقيس[2].

قال أبو القاسم في «تاريخ دمشق»: سئل الحسن البصري عن قول النبي ﷺ: «أحد أبوي بلقيس كان جنيّاً»، فأنكر ذلك وقال: إن المرأة من الجِنِّ لا تلد من الإنس[3]، كأنه ضعَّف الحديث.

---

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٦٩/ ٦٨.

(٢) «مروج الذهب» ٣/ ١٥٢.

(٣) «تاريخ دمشق» ٦٩/ ٦٧.

وذكر قتادة: أنَّ أحد أبويها كان جِنِّياً وأنَّ مؤخر قدميها مثل حافر الدَّابة، وكانت تسكن بمَأْرِب.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ ما ذكره الحسن، ولا يصحُّ، وإنما هو موقوف على أبي هريرة.

وقال ابن الكلبي: كان أبوها من عظماء الملوك، وُلِد له أربعون مَلِكاً، وكان يملك اليمن كلَّها ويقول: ليس من ملوك الأطراف من يكافيني، فتزوج امرأة من الجن يقال لها: ريحانة بنت السكن، فَوَلَدت له بلقمة، وهي بِلْقِيس، ولم يكن له ولد غيرها. ولما مات أبوها طمعت بِلْقِيس في المُلْك فأطاعها بعض قومها وعصى عليها البعض، وملَّكوا عليهم رجلاً وافترقوا فرقتين كلُّ فريقٍ استولى على طرف من الأرض، فمدَّ ذلك الرجل يده إلى أموال الرَّعية وحرمهم، وكان يفجر بالنِّساء فكرهوه، وأرسلت إليه بِلْقِيس ترغبُ فيه فتزوجها، فلما زُفَّتْ إليه سقته الخمرَ حتى سكر وذبحته، ونصبت رأسه على باب قصرها، فعَظُمتْ في أعين الناس وأطاعوها، وعلموا أنها تزوَّجته حيلةً لتريحهم منه، فقالوا: أنتِ أحقُّ بالملك مِن غيرك، فقالت: إنما قتلته حميَّةً على نسائكم وغيرةً عليكم، فدعوا لها[1].

وقال جدي رحمه الله في «تاريخه» وفي «التبصرة»: إنَّ أباها مَلَك سنةً ثم احْتُضِر، فاستخلفها وعهد إليها، ودعا أَشرافَ قومه وأخبرهم بذلك، لما عَرَف مِن رأيها وحُسن تدبيرها، فقال له بعضهم: أتدعُ أشرافَ قومك وأفاضِلَهم وتستخلفُ امرأة؟ فذكر لهم حُسن سيرتها وما جَرَّبَهُ من تدبيرها ومعرفتها بسياسة المُلْك، فقالوا: رضينا، وكانت تسكن أرض سَبَأ وهي مَأْرِب[2].

وقال الجوهري: مَأرِب موضع[3]. وبعضهم يقول: مَأْرِب اسم قصر بِلْقِيس، وأنشد لأبي الطَّمَحَان[4]:

---

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣١٥.

(٢) «التبصرة» ١/ ٣٠٤، ولم نقف على الخبر في «المنتظم».

(٣) «الصحاح»: (أرب).

(٤) البيت في كتاب «الحيوان» ٦/ ١٥٤ للجاحظ، ومروج الذهب ٣/ ٣٧٤.

أَلَمْ تَرَ مَأْرِباً ما كَان أَحْصَنَهُ[١] وما حَوَالَيْه مِن سُورٍ وبُنْيَانِ

وقال المسعودي في «تاريخه»: مَأْرِب اسم المَلِك الذي كان يملكهم. وهو وهم منه، والأول أصح[٢].

قال وهب: كان يحرسها الرِّجال ويخدمها بنات الأشراف، وكان معها في قصرها ألف امرأة، وكانت تأخذ الجارية وهي صغيرة، فإذا بَلَغت حدَّثتها حديثَ الرجال، فإذا رأتها قد تغيَّر لونها ونَكَست رأسها علمتْ أنها تريد الرجال فسرَّحتها إلى أهلها، وإنْ رأتها مستمعةً لحديثها غير متغيرة اللون، عرفت أنها لا تريد الرجال فأسكنتها معها وجعلتها من خاصَّتها.

قال المصنف رحمه الله: وقول من قال: إن أباها أقام سنة في الملك، بعيدٌ، لأن له سيرةً مذكورة وغزواتٍ، وأقام مدة، ذكره الكلبي.

وقال مقاتل: كان لها ثلاث مئة وستون رجلاً من عقلاء الناس تشاورهم في أمرها.

قال مجاهد: أقامت في مُلكها سبع سنين، ولم يعلم بها سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من كل ما يحتاج إليه الملوك من العَدَد والعُدَد وغير ذلك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل: ٢٣] أي: سرير ضخم من الذهب مُرَصَّعٌ بالدُّر والجَوْهر، وله أربع قوائم، الواحدة من الياقوت الأحمر، والثانية من الياقوت الأصفر، والثالثة من زمرد، والرابعة من زبرجد.

قال الكلبي: وكان له سبعة أبيات على كل بيت باب مقفل، وقال الحسن وابن عباس: كان طوله ثلاثين ذراعاً وارتفاعه كذلك وعرضه كذلك، وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً وهو مكلل بالجوهر.

قوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يعبدونها، ثم قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾[النمل: ٢٥].

وحكى الثعلبي عن يزيد ومحمد بن إسحاق أن من قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[النمل: ٢٦] من قول الهدهد وكلامه.

---

(١) في (ط): أحسنه، والمثبت من المصدرين.

(٢) لم يجزم بهذا القول المسعودي ٣/ ٣٧٣، وإنما ذكره أحد قولين.

قال مقاتل: لما سمع سليمان هذا الكلام استعظمه فقال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[النمل: ٢٧] يعني بما أخبرت، وإنما قال هذا لأنه استعظم أن يكون في الأرض لغيره سلطان، وخصوصاً امرأة لها مملكة تتسع لما ذكر عنها من الجيوش والعظمة.

ثم إنَّ الهدهد دلَّهم على الماء وكانوا قد عَطشوا فحفروا الرَّكايا وشربوا، ثم كتب سليمان كتاباً، واختلفوا في الذي كان فيه: فقال مقاتل: كان فيه: من عبد الله سليمان ابن داود إلى بِلْقِيس بنت الهدهاد والسلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وأتوني مُسلمين، وبه قال مجاهد.

وقال الحسن: كتب إليها كتاباً كما أخبر الله عنه ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ـ٣١] لم يزد على هذا.

قال ابن جريج: كان سليمان أبْلغ الناس في الكتابة وأقلهم إملاءً، قال: وكذا الأنبياء يكتبون جملاً ولا يطيلون.

فإن قيل: فلمَ قدَّم اسمه على اسم ربِّه؟ قلنا: لأنَّ القوم كانوا يعبدون الشمس من دون الله، ولا يعرفون الله، فخاف أنْ يبدو منهم ما لا يليقُ عند قراءة اسم الله، فقدَّم اسمه لهذا المعنى.

قال مقاتل: ولما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، وقال للهدهد: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾[النمل: ٢٨] أي: يردُّون من الجواب، فأخذ الكتاب وقصد بلقيس وهي بمَأْرِب.

قال الجوهري: مأرب موضع[1].

وقال مقاتل: هي أرضٌ طيبةُ الهواء، لذيذة الماء، بينها وبين صَنْعاء ثلاثة أيام.

فوافاها في قصرها وهي نائمة، وأغلقت الأبواب، وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها، وهذه كانت عادتها، فجاءها الهدهد وهي مستلقية على قفاها فألقى الكتاب في نحرها.

---

(١) «الصحاح»: (أرب).

قال قتادة: حمله في منقاره وجاء إلى كُوَّةٍ مقابلة الشمس تقع فيها عند طلوعها فتسجد لها، فسدَّ الكوَّة بجناحه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فقامت تنظر، فرمى بالكتاب إليها.

وقال مقاتل: حمله في منقاره وجاءها وهي جالسة وحولها الجيوش والأقيال، فرفرف ساعةً وهم ينظرون إليه، فرفعت رأسها، فرمى به في حجرها، والأول أشهر[١].

ولما رمى به أخذته، وكانت كاتبةً قارئة عربيةً من قوم يَعْرُب، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أنَّ الذي أرسل الكتاب أعظم منها، وفهمت من قرائن الأحوال أنَّ مَنْ جنده الطيرُ لا يُحارَبُ. وقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، فجلست على سريرها، واستدعت الأشراف والأَقْيَال وأهل المشورة، وقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[النمل: ٢٩].

واختلفوا في معنى كرمه على أقوال:

أحدها: أنه الحَسَن، كقوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨].

والثاني: شريف، قاله ابن عباس.

والثالث: لأن اسم الله كان في الخاتم الذي طبع به، قاله مقاتل.

والرابع: لأنه كان مختوماً، قاله مجاهد[٢].

وهو الأصحّ لأن كرم الكتاب ختمه، وقد رواه ابن زيد عن ابن عباس مرفوعاً[٣]، ولما كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً غير مختوم، فاتخذ الختم[٤].

ثم قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[النمل: ٣٢] ﴿قاطعةً﴾ أي: قاضية وفاصلة أمراً. ﴿حتى تشهدون﴾ أي: تحضرون ﴿قَالُوا۟﴾ مجيبين

---

(١) انظر «زاد المسير» ٦/ ١٦٧ـ١٦٨.

(٢) انظر «زاد المسير» ٦/ ١٦٨.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٧٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٩٩: فيه محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك.

(٤) أخرجه «البخاري» (٦٥)، و«مسلم» (٢٠٩٢) (٥٦ـ٥٧)، وأبو داود (٤٢١٤)، والترمذي (٢٧١٨).

لها ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ في الحرب ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[النمل: ٣٣] فقالت حين عرضوا عليها الحرب: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ أي: أخربوها إذا فتحوها عنوة ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرافها لتستقيم لهم الأمور فصدَّق الله قولها، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٤] فالأول حكاه عن بلقيس والثاني عن الله تعالى.

أنشدنا عبد الوهاب بن علي بن علي الصوفي لغيره[١]:

إنَّ المُلُوكَ بَلاءٌ حَيثُما حَلّوا ... فلا يَكُنْ لكَ في أَكْنافِهِم ظِلُّ
ماذا تُؤمِّلُ مِن قَومٍ إذا غَضِبُوا ... جَاروا عَلَيك وإنْ أَرضَيْتَهم مَلُّوا
وإنْ مَدَحتَهُم خَالوكَ تَخدَعُهُمْ ... واستَثقِلُوكَ كَمَا يُستَثقَلُ الكَلُّ
فاستَغنِ بالله عَن أبوابِهم كَرَماً ... إنَّ الوُقوفَ على أَبوابِهِم ذُلُّ

ثم قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾[النمل: ٣٥] أُصَانع بها عن نفسي وملكي وأختبره، فإن كان نبياً لم يقبلها ولم يرضها، ولم يُرْضِه إلا إنْ اتّبعنا دينه، وإن كان ملكاً أخذها وانصرف[٢].

واختلفوا في الهدية:

فذكر جدي رحمه الله في «التبصرة» قال: بعثتْ له ثلاث لبناتٍ من ذهب في كلِّ لبنةٍ مئةُ رطل، وياقوتة حمراء طولها شبرٌ غير مثقوبة، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفاً وألبستهم لباساً واحداً، فلا يُعْرَفُ الذكر من الأنثى[٣].

قال ابن عباس والحسن ومجاهد: بعثت إليه بخمس مئة لبنة من ذهب، وخمس مئة لبنة من فضة، في كل لبنة مئة رطل، وخمس مئة وصيف، وخمسمائة وصيفة ألبست الغِلْمان ثيابَ الجواري وجعلت في أعناقهم أطواقَ الذهب، وفي أيديهم أساور الذهب، وفي آذانهم أقراطاً من ذهب، وحملتهم على خمس مئة رَمْكَة، وألبست

(١) الأبيات في «عرائس المجالس» منسوبة لوالد الجنيد ص ٣١٧، وفي تفسير الثعلبي ٧/ ٢٠٦، وشعب الإيمان (٩٤٣٤) لوالد أبي القاسم الحبيبي، وفي العقد ٣/ ٢٠٠ دون نسبة، وفي جمهرة الأمثال ١/ ٣٠١ لأبي العتاهية.

(٢) «عرائس المجالس» ص ٣١٧.

(٣) «التبصرة» ١/ ٣٠٥.

الجواري ثياب الغلمان وحملتهن على خمس مئة بِرْذَون، وألبستهن الدِّيباج، وجميع السروج مرصعة بالجواهر واليواقيت، وعمدت إلى حُقٍّ فتركت فيه درةً يتيمة حمراء غير مثقوبة طولها شبرٌ، وخرزة جَزْع[1] فيها ثقبٌ معوج لا يكاد يبين، وقالت للجواري: كلِّمْنَهُ بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال، وقالت للغلمان: كلموه بكلام فيه تأنيث يشبه كلامَ النساء، ودعتْ رجلاً من أشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو، وضمَّت إليه رجالاً من ذوي العقول، وكتبت معه كتاباً فيه: من الملكة بلْقِيس إلى الملك سليمان، أما بعد، فإن كنتَ نبيّاً فميِّز بينَ الوصفاء، وأخبرني بما في الحُقِّ قبل فتحه، واثقبِ الدرةَ ثقباً مستوياً، وأدخل خيطاً في الجزعة، واختم على طرفي الخيط بخاتمك. وقد بعثت لك كذا وكذا.

وسبق الهدهد فأخبر سليمان بما جرى وبما بعثت، فأمر الشياطين بأن يضربوا لبناً من ذهب، ولبناً من فضة، في كل لبنةٍ ألفُ رَطل، وأمرهم أن يفرشوها من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، وقيل: ثمانية أميال، وأنْ يجعلوا حائطاً في الميدان من الجانبين ذهباً مرصعاً باليواقيت، وأنْ يرفعوه عالياً مشرفاً، ففعلوا، ثم أتى بدواب مِنَ البحر والبَر مختلفة الألوان لها أجنحة وأعراف ونواصي، فربطها من الجانبين، وألقى علوفها في معالف الذهب والفضة، ثم أقام الجنَّ عن يمين الميدان ويساره، ومن ورائهم الشياطين، ثم قعد على سريره ووضع حوله أربعة آلاف كرسي من ذهب وفضة، وأمر الإنس والجنَّ والوحش والطير أن يقوموا في مراتبهم، فقاموا على فراسخ عن يمينه وشماله. وكانت قالت للرسول: انظر إذا دخلتَ عليه، فإن نظر إليك نظر غضبان فهو مَلِك، فلا يهولنَّكَ نظره، فأنا أعزُّ منه، وإن رأيتَهُ متواضعاً لطيفاً فهو نبيٌّ مرسل.

قال وهب: ولما دنا القومُ من الميدان وشاهدوا مُلْك سليمان عليه السلام ونظروا إلى لبن الذهب والحيطان والدوابِّ والجن والشياطين والطير والوحش تقاصرت هِمَمُهم، وكان قد أخلى في الميدان موضع اللبن للذي معهم، وهمُّوا أن يردُّوا ما معهم إليها فخافوا منها. ثم أمر سليمان بإدخالهم عليه فدخلوا، وكلَّما مرُّوا على كُرْدُوس من

(١) الجَزْع: الخرز اليماني فيه سواد وبياض.

الجن والشياطين خافوا، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم نظراً حسناً بوجهٍ طَلْق، ثم ناولوه الكتاب فقرأه وقال: أين الحُقُّ؟ فَأُتي به فحرَّكه، وجاء الوحي فأخبره بما فيه، وقال: فيه دُرَّة يتيمة غير مثقوبة، وجزعة مثقوبة معوجَّة الثقب. فقال الرَّسول: صدقت، وأمر الأرَضَة وقيل الذرَّة فدخلت في الجَزْعة وخرجت من الجانب الآخر، فقالت: اسأل الله أن يجعلَ رزقي الفاكهة. وثقب الدرة بالسامور، وختم على طَرَفَي الخيط بخاتمه، وأمر بإحضار الغِلْمَان والجواري، قال مقاتل: وأمر بإحضار آنية الماء وميَّز بينهم بالوضوء للصلاة فكان الغلام يبدأ من كفه إلى مرفقه، والجارية من مرفقها إلى كفها، وقال جدي في «التبصرة»: وهذا قول سعيد بن جبير. قال: وقال قتادة: بدأ الغلمان بغسل ظاهر السواعد قبل بطونها، والجواري على العكس[1].

قلت: والعجب من حكاية مثل هذا، وقد اتفقوا على أن القوم كانوا يعبدون الشمس، وأخبرهم الله على لسان الهدهد بذلك، فمن أين كانوا يعرفون الوضوء؟ وإنما ميَّز بينهم بالوحي جبريل، جاءه فأخبره بهم كما أخبره بما في الحُقِّ.

ثم رد الهدية وقال للرسول: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[النمل: ٣٦] ومعناه أنتم أرباب مفاخرة ومكاثرة بالدنيا، وليس ذلك من حاجتي، لأن الله أكرمني بالنبوَّة والملك. ثم قال للمنذر بن عمرو: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ أي: من المملكة ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[النمل: ٣٧] أي: محتقرون.

قال: فلما عادوا بالهدية إليها قالت: والله لقد علمتُ أنه ليس بمَلِك وأنه نَبيٌّ، وأخبرها المنذر بما شاهد، فكتبت إلى سليمان عليه السلام: إني قادمة عليك بملوكِ قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فَجُعِلَ في بيت، وأقفلتْ عليه، ثم في بيت آخر كذلك إلى سبعة بيوت، ووكلت به حرساً يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْل، تحت يد كل قَيل ألوف عظيمة. وكان سليمان مهيباً لا يُبْتَدأ بشيء حتى يكونَ هو الذي يَسألُ، فرأى يوماً رَهَجاً قريباً منه، فسأل عنه فقالوا: بِلْقيس قد

(١) «التبصرة» ١/ ٣٠٦، والحكاية بطولها في عرائس المجالس ٣١٧ـ٣١٩.

قدمت، وهي نازلة قريباً منك قدر فرسخ، فقال سليمان لمن حوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1][النمل: ٣٨].

فإن قيل: ما مراده بإحضار عرشها قبل مجيئها؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه أراد أخذه لما وصفه له الهدهد، لأنها متى قدمت عليه مُسْلمة حَرُمَ عليه أخذ مالها، قاله مجاهد.

قلت: وهذا ليس بشيء لوجهين، أحدهما: لأنه كان زاهداً في الدنيا نبياً ورسولاً، وما عرشها بالنسبة إلى مُلكه حتى يحتالَ على أَخْذِ مالها قبل إسلامها؟ والثاني: أن الغنائم كانت مُحَرَّمَةً عليهم، وإنما أبيحت لهذه الأمة.

والثاني: أنه أراد أن يختبر عقلها، فينظر هل تعرفه أم لا، قاله ابن زيد.

والثالث: أراد أن يريها قدرة الله وسلطانه وأنه صاحب معجزات، فتنقاد إليه من غير عنف، قاله مقاتل. وهذان القولان جيدان.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ والعفريت المارد القويُّ، قال وهب: كان اسم العفريت كودي، وقيل: ذكوان. ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: مجلسك هذا ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩] على ما فيه من الجواهر. فقال سليمان: أريد أسرعَ من هذا ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهو آصفُ بن برخيا، وكان صدِّيقاً يعرف الاسم الأعظم، وكان يقفُ على رأس سليمان بالسيف ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل: ٤٠] ومعناه إذا مددت عينيك إلى أقصى منظرك، فمدَّ سليمان عينيه، ودعا آصف، فكان من دعائه: يا حيُّ يا قيُّوم يا ذا الجلال والإكرام. فبعث الله ملائكة فَخَدَّت الأرضَ بالسرير خدّاً حتى صار بين يدي سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه[2].

فإن قيل: فآصفُ من أتباع سليمان يعرف الاسم الأعظم وسليمان لا يعرفه؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنَّ ابن عباس قال: الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام.

---

(١) انظر «زاد المسير» ٦/ ١٧٣.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢١ـ٣٢٢.

والثاني: أنه مَلكٌ عظيم أيَّد الله به سليمان، قاله عكرمة.

فعلى هذين القولين سقط السؤال.

والثالث: إنما قصد سليمان أنَّ بعض أتباعه يتولى إحضارَ عرشها، لأن سليمان لا يباشره، وقد كان الاسم الأعظم في خاتمه.

والرابع: أراد أن ينوِّهَ باسم آصف ويرفع منزلته، لا أنه عاجز عن ذلك. وقد ذكرنا أن سليمان كان يعرف الاسم الأعظم قبل قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.

فلما حصل السرير بين يدي سليمان قال: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾[النمل: ٤١] أي: اجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، لننظر هل تهتدي إلى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يعرفون ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ شبَّهته به ولم تقرَّ ولم تنكر، وهذا دليل على قوة ذهنها وغزارة عقلها، لم تقطع بأنه هو إما لتغيره وإما لبُعد المسافة، وقد خلفته تحت سبعة أقفال.

قال الحسين بن الفضل البجلي: شبَّهُوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم، ولو قالوا لها: هذا عرشك، قالت: نعم. قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي: قبل مجيء هذه المرأة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، وإنما أراد سليمان عليه السلام أن يختبر عقلها بتنكيره، وأن يريها قدرة الله تعالى وسلطانه، وأنه صاحب معجزات.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[النمل: ٤٣] وهي الشمس، منعتها عن عبادة الله. ثم أمر سليمان بعمل الصرح، وهو كل قصر عال، والجمع صروح، وأصله البناء العالي[١].

قال وهب: قيل لسليمان إنَّ رِجليها رجلا حمار، وعلى ساقها شعر كثير، فاختبر عقلها بعرشها وما أمكنه أن يختبر رجليها، فأمر ببناء الصرح، فبنته الشياطين من الزجاج كأنه الماء بياضاً، وألقوا فيه السمك ودوابَّ البحر، ووضع سليمان سريره في صدره، فلما وصلت إليه ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ واللُّجة: معظم الماء، فنظر سليمان إلى ساقها[٢]، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً،

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٢.

(٢) في (ب): إليها.

إلا أنها كانت شَعْراء الساقين، فصرف وجهه عنها وقال: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي مملَّس من زجاج وليس ببحر(١).

فإن قيل: فكيف جاز لسليمان النظر إلى الساقين والوجه، وإنما يباح النظر إلى الوجه لا غير، وكيف جاز أن يحتال بهذه الحيلة، والأنبياءُ معصومون من مثل هذا، وقد يمكنه أن يختبرها بأن يبعث إليها امرأة تنظرها؟

فالجواب: إنَّ النظر إلى ساقها قد كان مباحاً عندهم كالنظر إلى الوجه عندنا، ولا نظنُّ بسليمان أن يفعل ما لا يحلُّ له، وقد كان لسليمان سبع مئة امرأة، ومثل هذا لا يباح لنا.

ثم دعاها سليمان إلى الإسلام فأسلمت وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل: ٤٤] وأسلم قومها. ثم عزم على تزويجها فأمر الشياطين، فاتخذوا الحمَّام والنُّورَة وطلوا بها ساقيها فصارا كالفضَّة. قال ابن عباس: وسليمان أَوَّل من صُنعَ له الحمَّام والنُّورَة(٢)، وقد رواه أبو موسى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّل مَن دَخَل الحَمَّام وصُنِعَت له النُّورة سُلَيمان»(٣) إلا أنه حديث ضعيف، ضعَّفه البخاري وغيره، وقال البيهقي: تفرَّد به إسماعيل الأودي، لا يتابع عليه.

فلما دخل بها سليمان أحبها حباً شديداً وأمر الشياطين فبنوا لها باليَمَن حصوناً لم يُبْنَ في الدنيا مثلها، وهي غُمْدَان وسَلْحِين وبَيْنُون، وأبقاها على مُلكها، وكان يزورها في كلِّ شهر مرة، يقيم عندها سبعاً، يبكر من الشَّام إلى اليَمَن ومن اليَمَن إلى الشَّام(٤).

وقال أبو القاسم في «تاريخ دمشق»: وأمهرها بعلبك ويقال: إنه نقلها إلى تَدْمر(٥)، وسنذكره.

وقال محمد بن إسحاق عن وهب عن بعض أهل العلم: لم يتزوجها سليمان، وإنما زوَّجها رجلاً مِنْ قومها يقال له: ذو تُبَّع، ملك هَمَدَان، وأمر زوبعةَ أميرَ الجن أن يقيم

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٢.
(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٣.
(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٧٨).
(٤) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٣.
(٥) «تاريخ دمشق» ٦٩/ ٧٠.

معها باليَمَن، ويبني ما شاءت من الحصون ففعل[١]، والأول أصح، وقد ذكره جدي في «التبصرة»: فقال: لما عُمِلَ له الصرح من الزجاج ورأته وعلمت أنَّ مُلْك سليمان مِن أمر الله تعالى فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[النمل: ٤٤] بما سبق من الكفر، ثم تزوجها سليمان وردَّها إلى مُلكها، وكان يزورها في كلّ شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وبقي مُلْكها إلى أن توفي سليمان عليه السلام فزال بموته[٢].

## فصل في قصة قوم سبأ[٣]

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ والمراد بسبأ القبيلة التي هي من أولاد سبأ. وقال علماء السِّير: كانت بِلْقيس مالكة أمرهم، وكانوا يقتتلون على الماء الذي يجري من الجبال إلى واديهم، فكانت تنهاهم فلا ينتهون، فاعتزلتهم بعيدةً عنهم في قصرٍ لها، فلما كثر الشرُّ بينهم أتوا إليها وقالوا: ترجعين إلى مُلكِكِ فأَبَتْ، فقالوا: ارجعي وإلا قتلناك، فقالت: إنكم لا تطيعوني فقالوا: بلى، نطيعك. فرجعت إليهم، وكان السيلُ يأتي إلى واديهم من مسيرة خمسة أيام، فبنت ما بين الجبلين مُسَنَّاةً، وحبست الماء خلف السدِّ، وبنت من دونه بركةً عظيمة جعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم، فإذا جاء المطر اجتمع إليها ماءُ بلاد الشِّحْرِ وأودية اليَمن وسيولها فتقسِّمُهُ بينهم بالسويَّة، حتى أسلمت مع سليمان وكان من أمرها معه ما كان.

قال كعب الأحبار: كان السَّد فرسخاً في فرسخ، بناه لُقمان بن عاد الأكبر صاحب النسور.

ويحتمل أنَّ لُقمان بناه ودثر فجددته بِلْقيس.

وقال مقاتل: كان في البركة ثلاثون ثقباً.

وقال مجاهد: إنما بنوا السد لئلَّا يذهب بأموالهم فيغرقها.

---

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٣.

(٢) «التبصرة» ١/ ٣٠٧.

(٣) انظر القصة في تفسير الطبري ١٦/ ٢٤٤ (هجر)، ومروج الذهب ٣/ ٣٦٥، وتفسير الثعلبي ٨/ ٨٢، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٤٣، و«التبصرة» ١/ ٣١٥، و«زاد المسير» ٦/ ٤٤٢، و«تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٩٥، و«الدر المنثور» ٥/ ٢٣١، و«البداية والنهاية» ٣/ ١٠٧.

وكانوا يفتحون من أبواب السدِّ ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه طولَ السنة، فأخصبت أرضهم، وكثرت أموالهم وفواكههم، حتى أن كانت المرأة لتمرُّ بين الجنَّتين والمكتلُ على رأسها فيمتلىء من الثمر، وما مسَّت شيئاً بيدها، ولم يكن في بلادهم حيّة ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا بُرغوث.

قال ابن عباس في تفسير الآية: إنها القدرة والعلامة. ثم فسَّرها فقال: جنَّتان عن يمين واديهم وشماله ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: وقلنا لهم كلوا ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما أنعم عليكم، تمَّ الكلام. ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: هذه بلدة طيبة الهواء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ: ١٥] للخطايا.

وقال ابن عباس: كان الرجل الغريب يأتي وفي ثيابه القَمْل، فإذا نظر إلى أرضهم مات القَمْل. وكان الراكب يسير من أول البساتين إلى آخرها فلا تقع عليه شمس. قال: فطَغَوْا وبَغَوْا وكفروا بأنعم الله، وذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ أي: عن الحق، وكان الله قد بعث إليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لربكم علينا نعمة.

وقال مقاتل: معنى الآية: فأرسلنا إليهم الرسل يدعونهم إلى الله فأعرضوا عنهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾[سبأ: ١٦] واختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: أن العَرِم: السدُّ بلغة حِمْيَر، فهو اسم للمسنَّاة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: أنه اسم للسَّيل الذي لا يطاق، وأصله من العَرَامة، وهي التمرُّد والعصيان، قاله مجاهد وابن الأعرابي.

والثالث: أنه اسم للوادي، قاله مقاتل وقتادة والضحاك، ورواه عطية عن ابن عباس.

والرابع: أنه اسم الجرذ الذي نَقَبَ السدَّ. حكاه الزجاج.

والقول الأول أشهر، واختاره الفرَّاء وابن قتيبة وعامة المفسرين، وذكره الجوهري فقال: العَرِمُ: المسنَّاةُ[1].

---

(١) «الصحاح»: (عَرَم).

وفي قصَّة إرسال هذا السيل عليهم قولان:

أحدهما: أن الله بعث عليهم جُرذاً يسمى: الخُلْد، وهو فأرة عمياء، فثقبه من أسفله، فأغرق جنانهم وأخرب أرضهم. رواه عطية العوفي عن ابن عباس.

قال وهب: كانوا يجدون في كهانتهم أنَّ فأرة تخربُ سَدَّهم فلم يتركوا فُرْجةً بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما آن أوان غرقهم جاءت فأرة حمراء إلى هرة فشاورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فثقبت السِّكْرَ وهم لا يعلمون.

وقال السُّدي: كان للدابة التي ثقبت السدَّ مخاليب من حديد.

قال محمد بن إسحاق: كان لقوم سَبَأ كاهن يقال له: عِمْران بن عامر، وقيل: عمرو ابن عامر، فرأى في كهانته أنهم سَيُمَزَّقون كُلَّ مُمَزَّق، فأخبرهم بذلك، قال: مَن كان ذا همٍّ بعيد، وجَمَلٍ شديد، ومَزَاد جديد، فَليلحق بقصر عُمَانَ المشيد، فلحق وادعة بن عمرو، ثم قال: مَن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المُطْعِمات في المَحل فَلْيَلْحَق بيَثْرِب ذات النَّخل، فلحقت الأَوْس والخَزْرَج، ثم قال: مَن كان مِنكم يريد خمراً وخميراً، وذهباً وحريراً، ومُلكاً وتأميراً فليلحق بمَعَان وبُصْرَى، فلحقت غسَّان وبنو جفنة بالشَّام فملكوه، ثم قال: مَن كان منكم يريد الأموال، ويعتزُّ بالرجال، وتُشَدَّ إليه الرحال فعليه بكوثى، فلحقت الأَزْد بموضع الكُوفَة.

وقال الزُّبير بن بَكَّار: إنَّما لحقت بالشَّام غسان، والأَزْدُ بعُمَان، وخُزَاعة بتِهامة.

وقال ابن الكلبي: إنَّ الملك هو عمرو بن عامر، وكان مَلكَ سَبَأ في ذلك الزَّمان. وكان عمران بن عامر أخاه فأخبره بما ذكرنا. قال: وكان للمَلِك كاهنة يقال لها: طريفة، من أهل حِمْير، فقال لها الملك: ما تقولين فيما قال عمران؟ قالت: صدق، ولقد رأيت غيماً أبرق، أرعد طويلاً ثم أصعق، فما وقع على شيء إلا احترق، وما بعد هذا إلا الغَرَق. ثم قالت لعمرو: اذهب إلى السدِّ فإنْ رأيت جُرذاً يُكثر بيديه فيه الحَفر، ويقلب برجليه من العَرِم الصخر، فاعلم أن النَّفَر سَفْر، وأنَّه قد وقع الأمر. فأتى إلى السدِّ فإذا بجُرذ يقلب بيديه صخرةً ما يقلبها خمسون رجلاً فعاد إلى طريفةَ وقال: متى ترين هلاكَ السدِّ؟ فقالت: إنما يهلك غِيلة بعد سبعين ليلة فانظر الغيلة. فأمر عمرو

أصغر أولاده أن يأتيَ إليه وهو في مجلسه والملأ حوله والأَقْيال فيفتئت عليه، وأمره أولاده أن لا يهيجوه وجلس مجلس الملك، واجتمع الناس إليه، وجاء ولده فكلمه بأقبح الكلام، فقال: يا قوم أكون مَلِكَكُم وسيدَكم ويُسمعني هذا السفيهُ ما أسمعني، وأنتم سكوتٌ لا تنتصرون لي؟! ثم حلف أن لا يساكنهم، وباع أمواله وانتزح عنهم، فبعد سبعين ليلة خرب السدُّ.

قلت: هذه رواية ابن الكلبي، وقد ذكر عبد الملك بن هشام في «السيرة» طرفاً منها، وقد تقدّم إسناده إلى عبد الملك في خطبة الكتاب، فقال: لما رأى عمرو بن عامر الجرذَ ينقب السدَّ علم أنه لا بقاء للسدِّ على ذلك، فأمر أصغر أولاده أن يقوم بين الملأ فيلطمه ويفتئت عليه، ففعل، فباع أمواله، فقال الأشراف: اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا أمواله. وانتقل عمرو عنهم وفعل كذلك بنو أسد وقالوا: لا نقيم في بلاد خرج منها عمرو بن عامر، فنزلوا بلاد عَكٍّ، وتفرقوا في البلدان، فنزل آل جَفنة بن عمرو الشام، ونزلت الأوس والخزرج يَثرِب، ونزلت خُزَاعة مَرّاً، والأَزْد السراة، وهما أزدان: أَزْد السراة وأَزْد عُمَان[1].

وقال السُّدي: إنما سميت خُزَاعة لانخزاعها وانقطاعها في ذلك الموضع.

قال الجوهري: وخُزَاعة حي من الأَزْدِ سموا بذلك لأن الأزد لما خرجت من مَكَّة لتتفرق في البلاد تخلَّفت عنهم خُزَاعة[2].

وفي رواية ابن إسحاق أنَّ عمران بن عامر قال في كهانته: ومن كان منكم ذا حاجةٍ وفقر، فليلحق ببطن مَرّ، فلحقتْ به خُزَاعة وقال: من أراد منكم الخمر والخمير، والذهب والحرير، والأمر والتأمير، فليلحق ببُصرى وحَفِير، يعني أرض الشام، وحَفِير قرية من قرى دمشق في جبل صيْدَنَايا قريبة منها. وقال: من أراد منكم الثياب الرِّقاق، والخيل العِتاق، والكنوز والأوراق فليلحق بالعِراق، فلحق بها الأَزد مع مالك بن فهم الأَزْدِي.

---

(١) «السيرة» ١/ ١٣.

(٢) «الصحاح»: (خزع).

قال وهب: وسار عمرو بن عامر إلى وادي السَّرَاة بأهله وماله وولده فأقام به وبمَكَّة، والسَّراة جبل الأَزْد.

والقول الثاني في سبب هلاك السدِّ حكاه جدي في «التبصرة»[١] عن مجاهد أنه قال: أرسل الله عليهم ماء أحمر فنسف السدَّ وهدمه وحفر الوادي. وعامة العلماء على القول الأول.

وحكى الضحاك عن ابن عباس: أنَّ عمرو بن عامر سيدهم رأى في منامه كأنه انبثق الردم وسال الوادي، فأصبح حزيناً، فانطلق نحو الردم فرأى جُرذاً يحفره بمخاليب من حديد وأنياب من حديد، فجمع أهله وبنيه وقال: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم، قال: هذا أمرٌ سَمَاويّ قد اضمحلت فيه الحِيَل. ثم قال: هاؤم هرة، فأُتي بها فأرسلها نحو الجُرذ، فلما رأته الهرة ولَّت هاربة، فقال: تحقَّقَ الآن ما قلتُ لكم، احتالوا لأنفسكم. فدعا أصغر بنيه، وذكر بمعنى ما تقدم.

قال ابن عباس: لما نقب الجُرذ السدَّ فاض الماء عليهم فأخرب جناتهم، ودفن بيوتهم في الرمل، ومزَّقهم كل ممزق، كما قال الله تعالى، حتى صاروا مثلاً عند العرب، فضربوا بهم الأمثال.

وقال الجوهري: وقولهم «ذهبوا أيدي سَبَأ»، وأيادي سَبَأ، أي: متفرقين، قال: وهما اسمان جُعلا اسماً واحداً، مثل مَعدي كَرِب[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وهو الأراك ﴿وَأَثْلٍ﴾ وهو الطرفاء، والأُكُلُ: الثَّمَرُ، وقيل: الخَمْط شجر العضاه. قال مقاتل: معناه: وبدلناهم بجنتيهم اللتين كانتا تطعمان الفواكه جنتين بهذه الصفة ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ: ١٦] والسِّدْر: شجر النَّبق، ومعنى «قليل» أنَّ الخَمْط والأثل كان في جنتيهم أكثر من السِّدْر لأن السِّدْر تؤكل ثمرته ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ أي: ذلك التبديل جزيناهم بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[سبأ: ١٧] قال طاوس: الكافر يجازى ولا يُغْفَر له، والمؤمن لا يناقَشُ الحساب.

---

(١) «التبصرة» ١/ ٣١٧.

(٢) «الصحاح»: (يدي).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى﴾ وهي قرى الشام ﴿ظَـٰهِرَةً﴾ أي: متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها.

قال الحسن: هي قرى بين الشام واليَمن، قال مجاهد: هي السَّرَوَات.

قال وهب: قرى صَنْعاء، والأول أصحُّ، لأن القرى التي بارك الله فيها في الأرض المقدسة.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾[سبأ: ١٨] فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يَغْدُون فيقيلون في قرية، ويروحون فيبيتون في قرية، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً من منزل إلى منزل، فلا ينزلون إلا في قرية عامرة يسيرون فيها ليالي وأياماً، أي: وقلنا لهم سيروا في أي وقت شئتم ليلاً أو نهاراً آمنين من مخاوف السفر والعدوِّ والجوع والعطش، لا تحتاجون إلى حمل زاد ولا ماء، فبطروا وعتوا وملُّوا النِّعم كما ملَّ بنو إسرائيل المنَّ والسلوى.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لو كانت جناناً أبعد مما هي كانت أجدر أن نشتهيها، قاله مجاهد.

والثاني: أن معناه: اجعل بيننا وبين الشام فَلَوات ومَفاوز وبراري نركب فيها الرواحل ونحمل فيها الزاد والماء، فاستجاب الله لهم سريعاً، قاله ابن عباس.

﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي والبطر ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: مواعظ وعبراً يتمثل بهم ﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[سبأ: ١٩].

وذكر الهيثم بن عدي: أن بعض القحطانيين افتخر على ولد نزار عند أبي العباس السفَّاح، وخالد بن صفوان بن الأهتم حاضر، ولم يجبه، فقال له السفَّاح: أيذكر هذا مناقب قومه وأنت ساكت؟ لقد غمرتكم قحطان بشرفها، فقال خالد: يا أمير المؤمنين ما سكوتي إلا احتقاراً به وبقومه، قال: ولِمَ؟ قال: ماذا أقولُ لقوم هم بين دَابغ جِلد، ورَسَائِس قرد، ونَاسِج بُرْد، وراكب عَرْد[1]، غرَّقتهم فَأْرة، ومَلَكَتْهُم امرأة، ودلَّ عليهم هدهد.

(١) العَرْد: الحمار، والخبر في مروج الذهب ٣/ ٣٧٢ـ٣٧٣.

## فصل في محنة سليمان عليه السلام وذهاب خاتمه وعوده إليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية، أي: ابتليناه بسلب ملكه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ أي: سريره ﴿جَسَدًا﴾.

واختلفوا فيه، قال ابن عباس: الجسد هو شيطان يقال له: صَخر، ولم يكن ممن سُخِّر لسليمان.

وقال وهب: هو صَخر بن عمير بن عمرو بن شرحبيل، ويقال: هو الذي دلَّ سليمان على حجر السامور وكان في جزيرة منيعة، فما كان له عليه سلطان.

وقال السدي: هو شيطان اسمه مهدي، وقيل: حفق أو حفيق.

وذكر الثعلبي: أنَّ الجسد إنما كان آصف بن برخيا[1].

وذكر أبو حنيفة ابن النُّوبي: أنَّ الجسد نفس سليمان، ألقاه مريضاً لا حراك به ولا رُوح فيه. والظاهر أنه صخر الجني.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾[ص: ٣٤] أي: رجع عن ذنبه، وقيل: في مُلكه.

واختلفوا في سبب ابتلائه على أقوال:

أحدها: بسبب امرأة، قرأتُ على شيخنا الموفق المقدسي رحمه الله بإسناده إلى ابن عباس قال: كان سليمان رجُلاً غزّاءً يغزو في البحر والبرِّ، فسمع بمَلِك في جزيرة من جزائر البحر، فركب الرِّيح ومعه جنوده من الجن والإنس حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل مَلِكها وسبى مَن فيها، وأصاب جَارية لم يُرَ مثلها حُسناً وجمالاً، وكانت ابنة ذاك الملك، واسمها: جرادة، فاصطفاها لنفسه، وكان يجدُ بها ما لا يجد بأحدٍ من نسائه، وكان يؤثرها عليهنَّ، فدخل عليها يوماً فقالت: إني أذكر أبي ومُلكه وما أصابه فيحزنني ذلك، فإن رأيتَ أن تأمر بعض الشياطين أن يصوِّروا لي صورةَ أبي في داري، فأراه بكرةً وعشياً، رجوت أن يذهب عني حُزني ويُسَلِّي عني بعض ما أجد في نفسي. فأمر سليمان صخراً المارد فمثَّل لها أباها في هيئته لا تنكر منه شيئاً إلا أنه لا روحَ فيه،

(١) «عرائس المجالس» ص ٣٢٧.

فعمدت إليه فزيَّنَتْهُ وألبسته مثل لباسه، وإذا خرج سليمان من داره غَدَتْ عليه كلَّ يوم مع جواريها فسجدت له وتسجد جواريها، وسليمان لا علم له بشيء من ذلك، حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ آصف بن برخيا، وكان صدِّيقاً، فقال لسليمان: يا نبيَّ الله، قد أحببت أن أقومَ مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم بما أعلم فيهم، فجمع سليمان الناس، وقام آصف فأثنى على كل نبيّ بما فيه، حتى انتهى إلى سليمان، وذكر ما أعطاه الله في حداثةِ سنِّه وصغره، ثم سكت، فامتلأ سليمان غيظاً واستدعاه وقال له: ذكرتَ أنبياء الله وأثنيت عليهم بما كان في زمانهم، فلما ذكرتني جعلت تثني عليَّ بخير في صغري، وسكتَّ عما كان في كبري، فما الذي أحدثتُ في كبري؟ فقال: أحدثتَ أنَّ غيرَ الله يُعْبَدُ في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة، قال: في داري؟ قال: نعم، قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون؛ عرفتُ أنَّك ما قلتَ هذا إلا لشيء بلغك، ثم رجع إلى داره فكسر الصنم وعاقب المرأة وولائدها، ثم دعا بثياب الطهر وهي ثياب لا يغزلها وينسجها إلا الأبكار، ولا يمسها امرأة رأت الدم فلبسها، ثم خرج إلى فلاةٍ من الأرض ففرش فيها الرماد، وجلس عليه يتمعَّك فيه متضرعاً باكياً تائباً، وكان يبكي ويقول: يا رب ما هذا بلاؤُك عند آل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقروا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك. فلم يزل كذلك حتى أمسى، ثم رجع، وكانت له جارية سمّاها الأمينة، وكان إذا أتى الخلاء أو أراد إتيان امرأة وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسُّه إلا وهو طاهر، وكان الله قد جعل مُلْكَهُ في خاتمه[1].

عن الشيخ الموفق، قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوءَ فدفع الخاتمَ إليها، وجاء صخر المارد فدخل المتوضَّأ، وسبق سليمان، فدخل سليمان لحاجته وخرج صخر على صورة سليمان ينفضُ لحيته من الوضوء، لا تنكر المرأةُ من سليمان شيئاً، فقال: خاتمي يا أمينة، فناولته إياه لا تحسبُ إلَّا أنَّه سليمان، فجعله في يده وجلس فجلس على كرسيِّ سليمان، وعكفتْ عليه الطيرُ والإنس والجنُّ، وخرج سليمان عليه السلام فقال: خاتمي يا أمينة، فقالت: ومن أنت؟ فقال: أنا سليمان، وقد تغيَّر حاله وذهب عنه بهاؤه، فقالت: كذبتَ إنَّ سليمان أخذ خاتمه، وهو جالسٌ على سريره في مُلكه.

(١) كتاب «التوابين» ص٤٦.

فعرف سليمان عليه السلام أنَّ خطيئته قد أدركته[١].

عن الموفق، قال الحسن: فخرج هارباً مخافةً على نفسه، ومضى على وجهه بغير حذاء ولا قَلَنْسُوة في قميصٍ وإزار، فمرَّ ببابٍ شارع على الطريق قد جهده الجوع والحرُّ والعطش فقرعه، فخرجت امرأة فقالت: ما حاجتكَ؟ فقال: ضيافةُ ساعةٍ، قد تَرَيْنَ ما قد أصابني من الحرِّ والرمضاء، فقالت المرأة: زوجي غائبٌ وليس يَسعني أن أُدْخِلَ رجلاً غريباً عليَّ، ادخل البستانَ فإن فيه ماء وثمراً، فأَصِبْ من ثماره وتبرَّدْ فيه، فإذا جاء زوجي استأذنتُهُ في ضيافتك، فإنْ أَذِن لي فذاك، وإنْ أبى أصبتَ رزق الله ومضيت. فدخل البستان فاغتسل ووضع رأسه ونام، فآذاه الذباب، فجاءت حيَّةٌ سوداء فأخذت ريحانةً من البستان بفيها وجعلت تروِّحُ عليه. وجاء زوجُ المرأة فقصَّتْ عليه القصة، فدخل البستان فرأى الحيةَ تروِّحُ عليه، فدعا امرأته وقال لها: تعالي فانظري إلى العجب، فنظرتْ ثم مشيا إليه فأيقظاه، ثم قالا له: يا فتى هذا منزلنا لا يسعنا شيءٌ يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، وكانت من أجمل نساء زمانها، فتزوجها وأقام عندهم ثلاثاً، ثم قال: لا يسعني إلا طلبُ المعيشة لي ولأهلي، فانطلق إلى الصيادين فقال لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم وترضخون له بشيء من صيدكم، وكُلٌّ يأتيه الله برزقه، فقالوا: قد انقطع عنا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيك، فمضى إلى غيرهم، فقال لهم مثل هذه المقالة، فقالوا: نعم وكرامة، نواسيك بما عندنا، فأقام عندهم يختلف كلَّ ليلةٍ إلى أهله بما أصاب من الصيد حتى أنكر الناس قضاءَ الخبيث وفعاله. فلما رأى الخبيثُ أنَّ الناس قد فطنوا له انطلق بالخاتم فألقاه في البحر، قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً[٢].

وروي: أنه قعد على كرسيِّ سليمان، فاجتمع له الإنس والجن والشياطين وكلُّ شيءٍ كان يملكه سليمان، إلا أنه لم يُسَلَّطْ على نسائه، قال: وخرج سليمانُ يسأل الناسَ ويتضيفهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة ويقول: أطعموني فإني سليمان بن داود، فيطردونه ويقولون له: ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على سليمان، وهذا

(١) كتاب «التوابين» ص ٤٨.

(٢) كتاب «التوابين» ص ٥٠.

سليمان على ملكه. حتى أصابه الجهد، واشتدَّ عليه البلاءُ، فلما تمَّ عليه أربعون يوماً، قال آصف بن برخيا: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من خلافِ حكم ابن داود ما رأيتُ؟ قالوا: نعم، فعمد الشيطان عند ذلك فألقى الخاتم في البحر، فاستقبله جِرِّيٌّ فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم، فاستقبل جريةَ الماء فوقع في شباك الصيادين الذين كان سليمان معهم. فلما أمسوا اقتسموا السمك وأسقطوا الجريَّ وجعلوه لسليمان، فذهب به إلى أهله وأمرهم أن يصنعوه ونام، فلما شقُّوا بطنه أضاء البيتُ من نور الخاتم، فدعت المرأة سليمان وأرته الخاتم فتختم به وخرَّ ساجداً لله، وحمد الله وأثنى عليه فقال: ربِّ أتمَّ نعمتك عليَّ واغفر لي ما سلف، وهبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[1].

قال: وروي عن عكرمة أنَّ سليمان لما أصاب الملك أمر فحمل أهل ذلك البيت فوضعهم وسط المملكة، ولم يكن سليمان نال تلك المرأة حتى ردَّ الله عليه ملكه[2]. هذه صورة ما ذكره الموفق في «التوابين».

وقوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ يدل على أنه أعطيَ الملك الذي ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ بعد وقوعه في المحنة كما قال علي عليه السلام.

وروي عن وهب بن منبه أنه ذكر هذه القصة، وقال فيها: اسم المرأة التي أخذها سليمان من الجزيرة جرادة فأسلمت، وفي قلبها من قتل أبيها ما فيه، وأنه بعدما كسر الصنم وعاقب المرأة وولائدها، دعا بثياب الطهرة، وهي ثيابٌ لا يغزلها إلا الأبكار ولا تمسُّها امرأة رأت الدم، فلبسها وخرج إلى الفلاة فجلس على الرماد، كذا ذكره[3].

قال ابن عباس: أمينته التي كان يدع الخاتم عندها أم ولده. فأتاها الشيطان صاحب السحر، واسمه صخر، فأخذ الخاتم منها، وفيه، فقال آصف: يا بني إسرائيل أَمْهِلوني حتى أسأل نساءَ سليمان هل يأتيهنَّ، فدخل عليهن فسألهن فقلن: ما يدعُ امرأة منا في

(١) كتاب «التوابين» ص ٥٠.

(٢) كتاب «التوابين» ص ٥١.

(٣) انظر «زاد المسير» ٧/ ١٣٣.

دمها ولا يغتسل من جنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن هذا لهو البلاءُ المبين. والأصحُّ أنه لم يطأ نساءَ سليمان، قال مجاهد والحسن البصري: لم يثبت ذلك لأن الشيطان خلق من نار، فلو جامع امرأة لأحرقها. فلما مضت أربعون ليلة ـ وقيل: خمسون ـ اجتمع علماء بني إسرائيل، ونشروا التوراة، وبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى، فلما رأى الشيطان ذلك طار من مجلس سليمان، ثم قذف بالخاتم في البحر فابتلعته سمكة.

فإن قيل: فكيف أقدم الشيطان على حمل الخاتم وفيه أسماء الله تعالى؟ فالجواب: إن الله أقدره عليه عقوبةً لسليمان، فغيَّر أوصافه وألقى عليه شبَه سليمان إلى المدة المذكورة.

والسبب الثاني: في امتحان الله سليمان ما رواه الوالِبي عن ابن عباس قال: كان بين قوم وبين أهل امرأةٍ لسليمان حكومة، فقضى سليمان عليه السلام للقوم على أهل المرأة، إلا أنه ودَّ بقلبه لو كان الحقُّ لأهلها، فعوقب إذ لم يكن هواه فيهم واحداً.

والثالث: أن هذه الزوجة كانت آثر النساء عنده فقالت له: إن بين أخي وبين قوم خصومة، وإني أحب أن تقضي له فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي لأجل ما قال: نعم، قاله السُّدي. والأصحّ القول الأول، وعامة العلماء عليه.

وقال جدي في «التبصرة»: وفي كيفية ذهاب الخاتم قولان، أحدهما: أنه كان جالساً على شاطىء البحر فوقع منه، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أنَّ شيطاناً أخذه[1].

ثم في كيفية أخذه هو أقوال: أحدها: أنه وضعه تحت فراشه ودخل الحمام، فأخذه الشيطان فألقاه في البحر، قاله ابن المسيّب. والثاني: أنه أخذه منه. والثالث: أنه أخذه من الأمينة، وهو الأصحّ، ذكره سعيد بن جبير ووهب وغيرهما.

واختلفوا في رجوع الخاتم إليه على أقوال:

أحدها: ما ذكرنا عن ابن عباس وروينا.

والثاني: أنَّ الحوت بلع الخاتم فأخذه بعض الصيَّادين ودفعه إلى سليمان وآخر

(١) «التبصرة» ١/ ٢٩١.

معه، وكان سليمان قد عمل معه ذلك اليوم، فأخذ سليمان الحوتين فباع أحدهما بأرغفةٍ، ونقر بطن الآخر ليشويه فظهر الخاتم، فلبسه، فردَّ الله عليه ملكه.

والثالث: ذكره الضحاك عن ابن عباس، روى: أن بعض نساء سليمان كان يضع الخاتم عندها، فجاء الشيطان في صورته فأخذه منها، وهرب سليمان إلى الصيَّادين يستطعم، فضربه بعضهم بمسحاةٍ فشجَّه، فجعل يغسل الدم على البحر، فلام الصيادون من ضَرَبه وقالوا: بئس ما فعلت، عَمَدْتَ إلى رجل فقير مجهود ففعلت هذا، ثم ألقوا عليه حوتاً وكان جائعاً فشقَّ بطنه، فإذا بالخاتم، فلبسه فردَّ الله عليه مُلْكه، وقام الذي ضربه يعتذر إليه، فعذره وقال: هذا أمرٌ لا بدَّ منه[١].

وذكر الثعلبي: أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده، فأعاده مراراً وهو يسقط، فقال له آصف: إنك مفتون، وإن الخاتم لا يثبت في يدك حتى ينقضي زمان البلاء، ففِرَّ إلى الله تعالى تائباً، وأنا أقومُ مقامَكَ، وأسيرُ بسيرتك؛ فهرب سليمان، ولبس آصف الخاتم، وأقام يسير بسيرة سليمان إلى أن يعود[٢].

قلت: وليس هذا القول بشيء، وعامة العلماء على الأول.

وقال ابن المسيَّب: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه يا ابن داود، احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام لم تنظرْ في أمورهم، ولم تنصفِ المظلومين من الظالمين، وعزَّتي لأسْلُبَنَّك مُلكك، قال: فكان سليمان بعدها لا يحتجب عن الناس ليلاً ولا نهاراً.

وذكر مقاتل أن سليمان تزوّج امرأةً من غير بني إسرائيل، فعاقبه الله تعالى، وكل هذه الأقوال فيها نظر، والأصحُّ القولُ الأول.

وقال جدي في «التبصرة»: لما لبس الخاتم ردَّ الله عليه ملكه وبهاءه، وأظلَّتْهُ الطير، فأقبل لا يستقبله إنسيٌّ ولا جنيّ ولا طائر ولا حجر ولا شجر إلا وسجد له، حتى انتهى إلى منزله، ثم أرسل إلى الشيطان فجيء به، فجعله في صندوق من حديد وقفل وختم

(١) انظر الخبر في «عرائس المجالس» ص ٣٢٦.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٧.

عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه إلى يوم القيامة.

فتأملوا إخواني هذا السلطان العظيم كيف تَزلْزَل بالزَّلل، واختلَّت أموره إذ دخل عليه الخلل، فخطؤه أوجب خروجه من المملكة، وكاد أنْ يوقعه كما أوقعت لقمةٌ آدم في مهلكة، وعليكم بالتقوى فهي سبب السلامة، ومن أخطأ أخطأته الكرامة[١].

قلت: وما ذنب الشيطان؟ أليس الله تعالى سلَّطه عليه عقوبةً لما فعل؟

فإن قيل: فلمَ جُعِل مُلكه في خاتمه؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: ليريه هوان ما أعطاه من الدنيا في جنب ما لم يعطه؛ لقد رفض الخاتم في جنب سائر الأشياء. والثاني: أن الخاتم كان حجراً من أحجار الجنة، حكَمَ هذا الحكم الباهر، فكيف بما فيها من اللآلىء والجواهر؟

قلت: وقد ورد في الخاتم حديث ذكره جدي في «الموضوعات» عن جابر، قال رسول الله ﷺ: «كان نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قال جَدِّي: هذا حديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ[٢].

## فصل في قول سليمان: لأطوفن الليلة على مئة امرأة

قال البخاري: حدثنا أبو اليَمان بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «قال سُلَيمان، لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ على مئة امرأةٍ أو تسعين، كُلُّهنَّ يَأتِينَ بفارسٍ يُقاتِلُ في سَبِيل الله، فقالَ لهُ صاحِبُه أو حاجبُهُ: قل إن شَاء الله، فلمْ يَقُلها، فَطاف عَلَيهنَّ كلهن جميعاً فلمْ تَحمِل مِنهنَّ إلا امرأةٌ، جَاءت بشقِّ وَلَدٍ. والذي نَفْسي بيَدِه لَو قالها لَجَاهَدوا في سَبيل الله فُرسَاناً أجمَعين»[٣]، أخرجاه في «الصحيحين».

وفي «الصحيح»: فقال له صاحبه ـ قال ابن عيينة: يعني الملَك ـ قل: إن شاء الله، فنسي[٤].

---

(١) «التبصرة» ١/ ٢٩١ـ٢٩٢.

(٢) «الموضوعات» ١/ ٣٢٤ حديث رقم (٤١١).

(٣) «البخاري» (٢٨١٩)، و«مسلم» (١٦٥٤).

(٤) في (ط): فقال له الملك قل إن شاء الله فنسي، قال ابن عيينة: يعني الملك، وليس في (ب)، والمثبت من «صحيح البخاري» (٦٧٢٠).

قلتُ: وهذه الرواية أليقُ بسليمان أنْ يكونَ على وجه العِنَاد للهِ تعالى، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ والنسيانُ لا ينفك عنه أحد. وقد روي أن هذا القولَ أحدُ أسباب فتنة سليمان.

## فصل في قصة جرت لصديق سليمان مع مَلك الموت

روى وهب بن منبه عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان لدَاود صديقٌ من بني إسرائيل يُدني مجلسه ويشاوره في أموره، فلمَّا مات دَاود وقام سُلَيْمان أنزله منزلته عند أبيه، وكان مَلَك الموت يدخل على سليمان ويستقضي حوائجه، فدخل عليه يوماً وعنده صديق أبيه، فلما خرج مَلكُ الموت قال له الرجل: أسألك بالله أن تأمر الرِّيح أنْ تحملني إلى أقصى جَزيرَةٍ بالهِند فتطرحني هناك، قال سليمان: ولمَ؟ قال: لأنَّ الرجل الذي دخل عليك لَحَظَني لحظةً لم أتمالكْ عندها، فأمر سليمان الرِّيح فحملته إلى الهِند، وحزن سليمان لفقده، فدخل عليه مَلَك الموت فقال: مالي أراك حزيناً؟ فقال: لأجل فَقدي لصديق أبي. فقال مَلَك الموت: الساعةَ قبضتُ روحه بأقصى جَزيرةٍ[1] بالهِند، أمرني الله بذلك، فبكى سليمان عليه السلام وقال: يا لله العجب.

## حديث الطائر مع سليمان

روى محمد بن إسحاق عن كعب قال: مرَّ سليمان على طائر يرفرف على فراخه ويزقُّهم[2] ويعلمهم الطيران، فقال: ليت سليمانَ حبس جيشه حتى أُدخلَ فراخي إلى العش، فوقف له سليمان حين سمعه، فلما أدخل فراخه العش وخرج من العش أخذ الماءَ بمنقاره وجعل يرش الطريق بين يدي سليمان شكراً لما صنع.

وذكر أبو المعالي بسند له في كتاب «لوامع أنوار القلوب» قال: راود خطّافٌ خطافةً فامتنعت عليه، فقال: لو شئتِ أن أقلب القبَّة على سليمان لفعلتُ، وبلغ سليمانَ فأحضره وقال: قلت كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: ما حملك عليه؟ قال: يا نبيَّ الله، العشاقُ لا يؤاخَذون بما يبدو منهم، قال: صدقت.

---

(١) في (ب) و(ط): مدبرة، والمثبت من «العاقبة في ذكر الموت» لعبد الحق الإشبيلي ١/ ٤١.

(٢) يَزُقُّهم: أي يطعمهم.

## فصل في معجزاته

قال علماء السِّير: معجزاته كثيرة منها تَسخير الشياطين له، قال ابن عباس: بنوا له مُدناً كثيرة منها تَدْمُر وبَعْلَبَك، وفيها يقول النَّابغة:

إلا سُلَيمانُ إذْ قال المَليكُ لَهُ ... قُمْ في البَريَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ
وخيِّسِ الجنَّ إني قَدْ أَمَرْتهمُ ... يَبْنُون تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ[1]

وقال الجوهري: الصُّفَّاح ـ بالضم والتشديد ـ: الحجر العريض[2]. وقيل: الرخام الأبيض والأصفر. وقال السُّدي: لا يختلفون أنه بنى تَدْمُر، وفي بَعْلَبَك خلاف، وبنى قلعة سليمان بخُراسان والأُبُلَّة، والسُّوس، وإِصْطَخْر.

وقال الثعلبي: وُجدَت في صخرة منقورة بأرض كَسْكَر هذه الأبيات:

ونَحْنُ ولا حَوْلٌ سوى حَوْل رَبِّنا ... نَروحُ إلى الأوطانِ من أَرض تَدْمُرِ
إذا نَحْنُ رُحْنَا كان رَيْثُ رَوَاحِنَا ... مَسيرةَ شَهْرٍ والغدوُّ لآخَرِ
أُنَاسٌ شَرَوا الله طَوْعَاً نفوسَهُم ... بنَصْر ابنِ داود النَّبيِّ المطهَّرِ
لَهُم في مَعَالي الدِّين فَضْلٌ وَرَأفةٌ ... وإنْ نُسِبُوا يوماً فهمْ خيرُ مَعْشَرِ
متى يَرْكَبُوا الرِّيحَ المطيعةَ أَسْرَعتْ ... مبادرةً من شَهْرِها لَمْ تُقَصِّرِ
يُظِلُّهُم طيرٌ صُفُوفَاً عَلَيْهِمُ ... متى رَفْرَفَتْ مِنْ فَوْقِهم لم تَفَتَّرِ[3]

وأمر زوبعة فبنى باليمَن حِصن سَلْحِين وصِرْوَاح ومِرْوَاح وبَيْنُوْن وهند وهُنَيْدة ومبلوم.

ولما مات سليمان صاح صائحٌ من السماء بعد سنة في الليل: يا معاشر الجِنّ والشياطين مات نبيُّ الله سليمان فارفعوا أيديكم، فعمدت الشياطين إلى حجر وكتبوا عليه بالمسند أسماء الحصون التي بنوها وتفرقوا.

وقال جدي رحمه الله في «التبصرة»: وكانت الشياطين تغوص في البحار

(١) البيتان في ديوانه: ص ٣٣، و«الفند» الخطأ في الرأي والقول، و«خيس»: ذلل.
(٢) «الصحاح»: (صفح).
(٣) «عرائس المجالس» ص ٣٠٥.

فيستخرجون له الدُّرَّ واللآلىء، ويعملون له الجِفَان والقصاع، يجتمع على القصعة ألف رجل، ويأكل من كل قِدر ألف رجل، ولا تنزل من مكانها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ يعني الغوص ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾[الأنبياء: ٨٢] حتى لا يخرجوا عن أمره[١].

ومنها: الريح، وقد ذكرناها.

فإنْ قيل: فقد قال في موضع: ﴿عَاصِفَةً﴾[الأنبياء: ٨١] وفي موضع: ﴿رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦] فالجواب: إنَّ الرخاء مأخوذة من الرخاوة، وأصاب بمعنى قصد، وأما عاصفة فلأنها كانت تلينُ إذا أراد، وتشتدّ إذا أراد. وقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾[الأنبياء: ٨١] يعني: أرض الشام، لأنها كانت منزله.

ومنها: فهم كلام الطير والنمل، وقد أشرنا إلى طرف منه.

ومنها: بساطه، وكان مئة فرسخ، وهو من نسج الجنة، قال أبو إسحاق الثعلبي بإسناده عن وهب بن منبه عن كَعب قال: إنَّ سليمان عليه السلام كان إذا ركب حمل أهله وحَشَمه وخدمه وكُتَّابَه وتلك الصفوف بعضها فوق بعض على قدر درجاتهم، وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد، وقدوراً عظاماً تَسَع القدرُ عشر جزائر، واتخذ ميادين الدوابِّ أمامه، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وتجري الدواب بين السماء والأرض، والريحُ تهوي بهم. وتمام هذا الأثر: أنه مرَّ بمَكَّة ولم ينزلْ حتى عاد من اليَمَن، وأنه بشَّر بنبيِّنا ﷺ وقد ذكرناه[٢].

ومنها: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾[سبأ: ١٢] قال ابن عباس: يعني أسلنا له عين القطر أي: عين النحاس، ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكانت بأرض اليَمَن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من الأرض[٣].

قال ابن عباس: المراد بالمحاريب: المساجد، والتماثيل: القصور والخاتم

(١) «التبصرة» ١/ ٢٩٠.

(٢) «عرائس المجالس» ص ٢٩٨.

(٣) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٠٥.

والكرسي وغير ذلك.

وقال مجاهد: هذا في بيت المقدس، عملوا له المحاريب من النحاس والصُّفر والشَّبَه والزجاج والرخام، والتماثيل صور الملائكة والأنبياء والصالحين، حتى إذا رآهم الناس مصوَّرين ازدادت عبادتهم.

وجِفان وهي القصاع، وقد ذكرنا أنه كان يجتمع على الجفنة الواحدة ألف رجل، والقدور الرَّاسِيات: الثابتات في أماكنها لا تنزل، ومنه قيل للجبال: رواسي.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[سبأ: ١٣] أي وقلنا: اعملوا بطاعة الله شكراً له على نعمه.

قال ثابت البناني: كان داود عليه السلام قد جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة منها إلا وإنسانٌ من آل داود قائم يصلي أو يقرأ.

وقال مجاهد: كان سليمان عليه السلام قد تخلى عن الدنيا وانقطع إلى العبادة، وسببه أنَّ النَّملة قالت له: إنما سميتَ سليمان لأنك سليم الصدر، وقد آن لك أن تلحق بأبيك، فسلَّم المُلْك إلى آصف ودخل المحراب، فتعبَّد حتى مات.

## فصل في وفاة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ الآية.

أنبأنا غير واحد عن إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي بإسناده عن ابن عباس قال: كان سليمان يقيم بالبيت المقدَّس الشهر والشهرين والسنة والسنتين، يدخل بيوت العبادة فيتعبَّد فيها، وكان يصبحُ كلَّ يوم وقد أنبت الله في القدس شجرةً فيسألها ما اسمكِ؟ فتقول: اسمي كذا وكذا، وأَصْلُحُ لكذا وكذا. فبينما هو ذات يوم قائمٌ يصلي في المسجد، رأى شجرةً قد نبتت بين يديه فقال: ما أنت؟ قالت: الخرُّوبة، قال: ولأيِّ شيءٍ نبتِّ؟ قالت: لخراب بيت المقدس ـ أو لخرابِ هذا المسجد ـ وذهاب هذا الملك. فقال: ما كان الله سبحانه ليخرِّبه وأنا حيٌّ، فقلعها وغرسها في حائط المسجد، ثم أخذ منها غُصْناً يتوكأ عليه، وهو مِنْسَأَتهُ، ثم قال: اللهم غُمَّ عن الجنِّ موتي حتى تعلم الإنس أن الجنَّ لا يعلمون الغيب. وكانت الجنُّ تقول للإنس: نحن نعلم الغيب، ثم دخل المحراب وقام يصلي متكئاً على عصاه فمات، وقال ابن زيد: قال سليمان

لملك الموت: إذا أُمِرْتَ بي فأعلمني، فأتاه فقال: قد أُمِرتُ بك، وقد بقيت لك سُوَيْعة، فدعا الشياطين وقال: ابنوا لي صرحاً من قوارير ليس له بابٌ، ففعلوا، وقام يصلي، ودخل عليه ملكُ الموت فقبضه وهو متكىء على عصاه[١].

وفي رواية أخرى: أنَّ سليمان قال ذات يوم لأصحابه: قد آتاني الله من المُلْك ما ترون، وما مرَّ عليَّ يومٌ بحيث صفا لي من الضَّرر، وقد أحببتُ أن يكون لي يومٌ واحد يصفو إلى الليل ولا أغتمَّ فيه، وليكن ذلك اليوم غداً. فلما كان من الغد دخل قصراً له، وأمر بإغلاق أبوابه، ومنع الناس من الدخول عليه ورَفْعِ الأخبار إليه، لئلا يسمع من ذلك ما يسوؤه. ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكأ على عصاه ينظر في ملكه، إذ نظر إلى شابٍّ حسن الوجه عليه ثيابٌ بيضٌ قد خرج عليه من جانب القصر، فسلَّم عليه فقال سليمان: من أين دخلتَ وقد منعنا الناس من الدخول؟ فقال: أنا الذي لا يحجبني حاجبٌ، ولا يردُّني بوَّاب، ولا أهابُ الملوك، ولا أقبل الرِّشا، وما كنت لأَدْخلَ هذا القصر بغير إذن، وما دخلت إلا بإذن ربي. قال: فأنت حينئذٍ مَلَكُ الموت، قال: نعم جئت لقبض روحك، فقال: هذا يومٌ أردتُ أن يصفو لي من الكَدَر ولا أسمعُ فيه ما يغمني، فقال له ملك الموت: ذاك اليوم الذي تشير إليه لم يخلق في دار الدنيا، فارض بقضاء ربك فإنه لا مردَّ له، فقال له: فامض لما أُمرتَ به، فقبضه وهو متكىء على عصاه. وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلَّاه أينما كان، وكان للمحراب كوىً بين يديه ومن خلفه، وما كان شيطان ينظر إليه وهو في محرابه إلا احترق، فدخل شيطانٌ من جانب وخرج من جانب ولم يحترق، فنظر إلى سليمان وقد خرَّ ميِّتاً فأخبر الناس، ففتحوا الباب وأخرجوه، ووجدوا الأَرَضَةَ قد أكلت مِنْسأته ـ وهي العصا ـ ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأَرَضَة على العصا، فأكلت منها يوماً وليلة، فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة، وكانت الجن تعمل بين يديه بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس أن الجنَّ كانوا يكذبونهم لأنهم لو عَلِموا بموته ما عَمِلوا[٢]. ثم قالت الشياطين للأَرَضَة: لو كنتِ تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٨.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٢٩.

تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب، ولكنا سننقل إليكِ الماءَ، فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت[١]. ويقال لها: القادح، وهي دويبة تأكل العيدان.

وقال الجوهري: الأَرَضَة بالتحريك دويبة تأكل الخشب[٢].

واختلفوا في مبلغ سنِّه:

فقال الثعلبي: عاش ثلاثاً وخمسين سنة، ومدَّةُ مملكته أربعون سنة، وملك يَوْمَ مَلَكَ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من مُلْكه[١]. ولم يذكر الثعلبي غير هذا.

وقال مقاتل: عاش اثنتين وخمسين سنة لأنه ملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

وقيل: إنه عاش سبع مئة سنة، وإنه كان في زمان أفريدون. وهذا القول ليس بشيء.

ولم يذكر جدي في «أعمار الأعيان» مبلغ سنِّه.

واختلفوا في موضع قبره على قولين:

أحدهما: قبره بالبيت المقدس عند الجسمانية[٣]، هو وأبوه في قبر واحد.

والثاني: على ساحل بحيرة طَبَرِيَّة.

وقال ابن عباس: لما مات سليمان أَخرجتِ الشياطينُ من تحت كرسيه أوراقاً فيها سحر وطِلَّسْمات، وهي على لسان آصف بن برخيا: هذا ما علَّم آصف سليمان، وكان صخر قد دفنها ـ وقيل: غيره ـ تحت كرسيِّ سليمان، ولما أخرجوها قالوا للناس: إنما مَلَكَكُم سليمان بهذا فتعلموه، فأما صلحاء بني إسرائيل فقالوا: معاذ الله أنْ يكون هذا من عِلْم سليمان، وإنْ كان هذا علمه فقد هلك، وقالت السَّفِلَة: بلى كان هذا عِلْمه، وأقبلوا على تعلُّمه ورفضوا كتبَ أنبيائهم، وفشت الملامةُ لسليمان، فلم يزل ذلك حالهم حتى بعث الله رسوله، فأنزل الله تعالى عُذْرَ سليمان على لسانه، وأظهر براءته مما رأى فقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] يعني اليهود،

---

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٣٠.

(٢) «الصحاح»: (أرض).

(٣) أي عند كنيسة الجسمانية كما تقدم في الصفحة ١٨٠، وانظر «الروض المعطار» ١/ ١٢٣.

ومعنى ﴿تتلو﴾ تَلَتْ، وقرأ الحسن: «الشياطون» بالواو في جميع القرآن[١]، وهو لحنٌ فاحش عند أهل الأدب. الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون. ومعنى ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: في ملكه.

وقال السُّدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعدَ للسمع ثم يأتون الكهنةَ فيخبرونهم، ويخلطون ما سمعوا بالكذب والزور، في كل كلمة سبعون كذبة فيما يكون في الأرض من موتٍ أو غيره، ففشا في بني إسرائيل أنَّ الجنَّ تعلمُ الغيب، فجمع سليمان تلك الكتبَ وجعلها في صندوق ودفنها تحت مصلاه أو كرسيِّه، وقال: لا أسمعُ أحداً يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلا قتلته. فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين يعرفون حال الكتب وَدَفْنَهُ إياها تمثَّلَ الشيطان في صورة إنسان، وأتى نفراً من بني إسرائيل، قال: هل أدلكم على كنزٍ لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم، فذهب معهم إلى كرسيِّ سليمان وقال: احفروا ها هنا، فحفروا وأخرجوها، فقال: إنَّ سليمان كان يضبط الجنَّ والإنس والطير بهذا. ولما أراهم المكان من بعيد قالوا: ادنُ، قال: لا أقدر، وما كان شيطانٌ يدنو من الكرسيِّ إلا احترق، وطار في الهواء. ولما ظهرت الكتب فشا في الناس أنَّ سليمان كان ساحراً، فلذلك أكثرُ ما يوجد السحر في اليهود. فأنزل الله براءة سليمان.

وفي الآية دليل على أنَّ الساحر كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة: ١٠٢].

## فصل في وفاة بلْقيس

حكى أبو القاسم في «تاريخ دمشق» وقال: بلغني أنَّ بلْقيس ملكت اليَمَن تسع سنين، وكانت خليفةً عليها من قِبَل سليمان أربع سنين، قال: وقال همام بن منبه: قدمتُ مكة فجلستُ إلى عبد الله بن الزبير وعنده جماعة من قريش فقال رجل: ممن أنت؟ قلت: من اليَمَن، قال: ما فعلتْ عجوزكم؟ قلتُ: أيُّ عجوز؟ قال: بلْقيس، قلت: أَسْلَمَت مع سليمان لله رب العالمين، وأما عجوزكم فحمَّالة الحطب في جيدها

(١) «مختصر في شواذ القراءات» ص ٨.

حبلٌ من مسد[١].

قال أبو القاسم: وروي عن الأَوْزَاعي أنه قال: كُسِرَ برجٌ من أبراج تَدْمُر فأصابوا فيه امرأة حسناء دعجاء مدرجة، كأن أعكانها طيُّ الطَّوَامير المدرجة، عليها عمامة طولها ثمانون ذراعاً، مكتوب على طرفها: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا بِلْقيس مَلِكَة سَبَأ، زوجة سليمان بن دَاود، مَلَكْت الدنيا كافرةً ومؤمنة، ملكت شيئاً لم يملكه أحدٌ قَبْلي، ولا يملكه أحدٌ بَعْدي، ثم صار مصيري إلى الموت فأَقْصِرُوْا يا طُلابَ الدنيا[٢].

واختلفوا فيها على أقوال: فقال السُّدي: توفيت قَبْل سليمان بشهر، وقيل: إنها توفيت باليَمَن.

❁ ❁ ❁ ❁

قال: فإن قيل: فهل تعرفون في رواة الحديث من اسمه سليمان بن داود؟

فالجواب: جماعة ذكرهم أبو القاسم في «تاريخ دمشق» والخطيب في «تاريخ بغداد» فنذكر أعيانهم، فمنهم:

سليمان بن داود بن أبي حَفْص، وكنيته أبو الرَّبيع الخُتَّليُّ[٣]، سمع بالشام أبا الحسن بن أبي الحديد وغيره، وروى عن حَفْص بن عمر الربعي وغيره.

ومما روى عن الرَّبعي[٤] قال: خرجنا إلى المدائن لنسمع من شُعيب بن حرب الواسطي فقال: أحدِّثكم قبل أن تسمعوا بحديثين في الورع، أما أحدهما فرأيته بعيني قال: خرجتُ حاجّاً فركبتُ في سفينة فإذا رجلان كأنهما ارتكضا في رحم واحد، يعظِّم كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وإذا في السفينة قمح، فأخذ أحدهما قمحةً فوضعها في فيه، فنظر إليه صاحبه وقال: ما هذا؟ قال: سهوتُ، قال: لا أصاحب من يسهو عن الله، قدِّم السَّفينةَ يا ملاح وإلا رميتُ روحي في البحر، فقلت له: من أجل قمحةٍ تلقي روحك في البحر؟ فقال: هيه استصغرتَ الذنبَ ولم تنظر مَن عُصي، ولم يقدِّم الملاحُ

(١) «تاريخ دمشق» ٦٩/ ٧٧.

(٢) تاريخ دمشق ٦٩/ ٧٨، والطوامير: جمع طامور، وهو الصحيفة.

(٣) كذا في (ط)، وليس في (ب)، والصواب: الجِيلي كما في تاريخ دمشق ٧/ ٦٠٣ (مصورة دار البشير)، ومختصره لابن منظور، وابن بدران ٦/ ٢٧٣.

(٤) كذا في (ط)، وفي تاريخ دمشق ومختصريه: المربّعي، وهو الصواب إن شاء الله.

السفينةَ فزجَّ نفسه في البحر وغاب عنا. فقال صاحبه: والله إني صحبته منذ ثلاثين سنة ما رأى مني زلَّةً غيرها. قال: وسرنا أياماً وأنا أَخدمه حتى أتينا مَكَّةَ، فبينما نحن في الطواف وإذا برجلٍ، فقلت لرفيقه: هذا صاحبك، فجاء فسلَّم عليه فقال له: أُبْ إلى الله بالتوبةِ من ذنبك، ففعل فقلت: الصحبة فقال: قد نَهَى رسولُ الله ﷺ عَن صُحْبة الثلاثة، لِئلا يتناجى اثنان دونَ الثَّالِث[١]، ثم افترقا، فإن يكن أحد من الأبدال فهما ذانك الفتيان.

وأما الذي حدثني سفيان الثوري فقال: بلغني أنَّ المسيح عليه السلام مرَّ بمقبرة، فنادى: يا أهل القبور أخبرونا عن حالكم، فقام رجل منهم ينفض التراب عن رأسه ويقول: يا روحَ الله ما الذي تريد منا؟ فإني لواقفٌ في الحساب منذ سبعين سنة، قال: وما كنت تعمل؟ قال: حمَّالاً أحملُ الحطب فبعتُ يوماً حزمةً من رجل، وأخذتُ منها شظيّةً فتخلَّلتُ بها ورميتها في الطريق، فعاتبني الله وقال: استهنتَ بأمري وقد علمتَ أني مطَّلعٌ عليك أسمع وأرى، قال: فشاب مُقَدَّمُ رأسِ المسيح من هول ما سمع منه وقال سفيان: هؤلاء أصحاب الشظايا، فما بالكم بأصحاب الجذوع؟!

قلتُ: وقد ذكره الخطيب[٢] وقال: كان أحول، وحدَّث عنه عباس الدوري ومسلم بن حجاج وأبو زرعة الرازي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم، وكان ثقةً، ومات بمدينة أبي جعفر ببغداد، أول يوم من رمضان سنة إحدى وثلاثين ومئتين.

ومنهم: سليمان بن داود بن خالد بن عباد، من ساكني جَرود من إقليم مَعْلُولَا من عمل دِمَشق[٣].

ومنهم: سليمان بن داود بن عبد الله أبو أيوب، من أهل نَيْسَابُور[٤]، وذكره الحاكم أبو عبد الله في «تاريخه»، ومات في سنة عشرين وثلاث مئة بنَيْسَابُور، وسافر إلى الشام

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٥٦٤)، والنهي فيه عن التناجي فقط وليس عن الصُّحبَة، بل ورد الحضُّ على صُحبة الثلاثة في قوله ﷺ: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ» أخرجه أبوداود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤).

(٢) وَهِمَ المصنف رحمه الله في هذا، فالذي ترجم له الخطيب ١٠/ ٤٩ نسبته «الخُتّلي» وتوفي سنة ٢٣١هـ، أما المقصود فهو «الجيلي»، وتوفي نحو سنة ٤٦٩هـ.

(٣) «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٣٠٢.

(٤) «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣٥٤.

والحِجَاز والعِراق، وسمع بدمشق أبا زُرْعة الدمشقي وروى عنه في «تاريخه» وأسمعه، وروى عنه جماعة منهم أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، وعاد إلى نَيْسَابُور فتوفي بها، كما ذكرنا.

ومنهم: سليمان بن دَاود بن عبيد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص[١]، كان يسكن دَيْر البُخْت من أعمال دمشق، وكان أعورَ، وهو الذي تزوج فاطمةَ بنت عبد الله ابن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز بعد عمر، فولدت له هشام بن سليمان، وسليمان هذا هو الذي يقال له الخلف الأعور. وقيل: إنما خلف عليها داود بن بِشْر بن مروان، وسنذكره فيما بعد.

ومنهم: سليمان بن داود الخَوْلاني الدَّارَانِيّ[٢] أخو عُثْمان بن دَاود، روى عن: الزُّهْري وعمر بن عبد العزيز وأبي قِلابة الجرمي وغيرهم، وروى عنه: الوَضِينُ بن عطاء وغيره، وكان حاجباً لعمر بن عبد العزيز ثقةً مأموناً. وقال البيهقي: قد أثنى على سليمان بن داود هذا أبو زُرْعة الرَّازي وأبو حاتم وعثمان بن سعيد الدَّارميُّ وجماعة مِن الحفَّاظ، وتكلموا فيه بسبب الحديث الذي رواه: أن النبي ﷺ كتب كتاب الصدقات[٣]، فمنهم من يقول: أرسله، ومنهم من يقول: وقفه، وعلى كل حال فهو مأمون ثقة.

ومنهم: سليمان بن داود، دِمَشقيٌّ، حدَّث عن أبي معاوية شيبان بن عبد الرحمن النَّحْوي، وروى عنه محمد بن موسى القطَّان[٤].

ومنهم: سليمان بن داود، دِمَشقي أيضاً، حدَّثَ عن أبي سهل أحمد بن محمد بن عمر اليماني، وروى عنه عبد الله بن محمد بن يوسف[٥].

وأما الذين ذكرهم الخطيب:

---

(١) «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٣٠٣.

(٢) «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٣١٢.

(٣) حديث الصدقات حديث طويل أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩)، والحاكم في مستدركه (١٤٤٧).

(٤) «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٣١٥.

(٥) «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٣١٥.

فمنهم: سليمان بن دَاود أبو داود الطَيَالِسي[١]، وقد ذكر.

ومنهم: سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عبَّاس، ذكرناه أيضاً[٢].

ومنهم: سليمان بن داود، أبو الرَّبيع الزَّهْراني[٣] ذكرناه أيضاً.

ومنهم: سليمان بن داود بن بشر الشاذكوني[٤] ذكرناه أيضاً. انتهت ترجمتهم، والله أعلم.

(١) «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٤.

(٢) «تاريخ بغداد» ٩/ ٣١.

(٣) «تاريخ بغداد» ٩/ ٣٨، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٧.

(٤) «تاريخ بغداد» ٩/ ٤٠.

obeikandl.com